
الدر المنثور
في مكنون جوهر العقول
د.محمد فتحي عبد العال
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
رؤى نقدية في مؤلفات
الدكتور محمد فتحي عبد العال
باستخدام الذكاء الاصطناعي
للكاتبة أنيبال دكدوك

<u>الكتاب معد بالذكاء الاصطناعي</u>

<u>الأداة المستخدمة deepseek</u>

تاريخ الصحافة وتشكيل الرأي العام في فترات التحول السياسي والاجتماعي: رؤية نقدية في كتاب "هوامش على دفتر أحوال مصر"

مقدمة

يمثل كتاب الدكتور محمد فتحي عبد العال **"هوامش على دفتر أحوال مصر "**مشروعاً تاريخياً فريداً في منهجه، إذ يقترب من التاريخ المصري الحديث من بوابة الصحافة، متخذاً من أرشيف الصحف المصرية بمختلف أطيافها نافذة لرصد التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدها المجتمع المصري، خاصة في الفترة الممتدة من بدايات القرن العشرين وحتى خمسينياته. وما يميز هذا الكتاب هو أنه لا يكتفي بعرض الأحداث، بل يقدم رؤية نقدية لدور الصحافة في تشكيل الرأي العام، وكيف عكست هذه الصحف - بقوتها وضعفها، بصدقها وزيفها - تحولات المجتمع المصري في لحظات فارقة من تاريخه. يفيد هذا النهج في فحص العلاقة الجدلية بين الإعلام والرأي العام، خاصة في أوقات التحولات الكبرى التي تغير فيها وعي الجماهير وتتشكل عبره هوية الوطن. وسنتناول في هذا البحث تاريخ الصحافة المصرية ودورها في تشكيل الرأي العام من خلال التحليل النقدي للكتاب.

أولاً: الصحافة كمرآة للتحولات الاجتماعية

1.الصحافة نافذة على حياة البسطاء

يقدم الكتاب رؤية بانورامية لحياة المصريين اليومية من خلال تغطية الصحف للقضايا الاجتماعية البسيطة، مما يجعل الصحافة لي مجرد ناقل للأحداث السياسية، بل مسجلاً للتحولات الاجتماعية العميقة. ففي قضية **الباعة الجائلين**، نجد الصحافة تكشف عن معاناة شريحة عريضة من المجتمع، وتوضح أن الفقر لم يكن وليد اللحظة، بل ظاهرة متجذرة، حيث كان الباعة الجائلون يعملون 14 ساعة يومياً بلا عطلة، ويتراوح رأس مال الواحد منهم بين عشرين قرشاً وخمسة جنيهات، مما يكشف عن **هشاشة الطبقات الدنيا** واستمرارية معاناتها عبر الزمن .[citation:1]وفي ملف **أزمة الدواء**، نجد الصحافة تتناول قضية صحية جوهرية، من خلال مقال الدكتور سعيد عبده في مجلة "آخر ساعة" (1952)، الذي انتقد فوضى صرف الأدوية في مصر، وهيمنة الأدوية المستوردة على السوق، غافلاً البدائل الوطنية الأرخص ثمناً، مما كشف عن أزمة ثقافية تتعلق بـ **"عقدة الخواجة"**، وهي الإعجاب المفرط بالأجنبي وتقديمه على المنتج المحلي.[citation:2]

كذلك، رصدت الصحافة في ذلك الزمان مأساة **الحفاء** في مصر، وهي قضية تعكس الفجوة بين الطبقات. ففي عام 1941، بادر الملك فاروق بمشروع للقضاء على الحفاء، وتبرعت الملكة فريدة بمبلغ 200 جنيه، وزودت الصحف القارئ بصور المأساة وأرقام التبرعات، إلا أن هذه المحاولة ظلت محدودة الأثر، مما يكشف عن عجز الحلول الفردية عن مواجهة مشكلات هيكلية .[citation:3]وفي المقابل، كانت الصحافة أيضاً تعكس **مظاهر الترف والتبذير** التي تتجلى في تقاريرها عن مخصصات الملك والبرلمان، بالمقارنة مع مخصصات الصحة والزراعة، مما يُشكّل صورة فضفاضة عن الانحياز الطبقي الصارخ في المجتمع المصري.[citation:4]

2.الصحافة والشأن اليومي للمواطن

اهتمت الصحافة المصرية بالتفاصيل اليومية الصغيرة التي تعكس طبيعة المجتمع، مثل حوادث الترامواي التي كانت شبه يومية، حيث كشفت عن تهاون شركة التزام في توفير وسائل نقل آمنة، واكتفائها بتخصيص جزء من أموالها لدفع غرامات بدلاً من تحسين الخدمة. وقد استخدمت الصحافة لغة ساخرة وناقدة، مثل وصفها بأن الترامواي "تحصد أرواح الناس حصداً"، مما يشير إلى وعي الصحافة بدورها في **فضح إخفاقات المؤسسات الحكومية** والضغط من أجل الإصلاح .[citation:5]في مقابل هذا، عكست الصحف

أيضاً **روح التكافل الاجتماعي**، كقصص الشهامة والجدعنة، وحوادث إنقاذ الغرقى، وإعادة الأمانات، مما يُظهر أن الصحافة لم تكن أداة هدم فقط، بل كانت أيضاً ناقلاً للقيم الإيجابية وملهماً للوعي الجمعي.

ثانياً: الصحافة وتشكيل الرأي العام في لحظات التحول السياسي الكبرى

1.العامان الفارقان 1948-1949: الإخفاق والمقدمات

يركز الدكتور محمد فتحي عبد العال على **عامي 1948 و1949** باعتبارهما لحظة تحول فارقة في التاريخ المصري الحديث، وتلعب الصحافة دوراً محورياً في تشكيل الوعي الجمعي خلال هذه الأزمة. إذ كانت الصحافة منبراً لعرض إخفاقات الحياة النيابية، وهذا ما يعكسه استطلاع الرأي الذي أجرته مجلة "المصور" في مارس 1948، والذي أظهر أن **أكثر من 90% من طلاب جامعة فؤاد وفاروق** يعتقدون أن الحياة النيابية قد فشلت، وأن الجيش هو الوسيلة الناجعة للحل. وهذا دليل ملموس على أن الصحافة كانت تعكس تحولاً عميقاً في وعي النخبة، خاصة الشباب المتعلم، نحو اليأس من المؤسسات الديمقراطية القائمة.[citation:6]

في الوقت نفسه، كانت الصحافة تساهم في **تغذية الشعور بالعداء تجاه الملكية والأحزاب**، فبينما كانت تنقل أخبار حرب فلسطين، كانت تكشف في الوقت نفسه تناقضات النظام، من خلال حديثها عن فضيحة حقيبة السيدة زينب الوكيل (زوجة مصطفى النحاس) التي احتوت على مجوهرات بقيمة 30 ألف جنيه، في وقت كانت ميزانية الجيش تعاني العجز، مما يبرز تناقضاً صارخاً بين مظاهر الترف لدى النخبة الحاكمة ومعاناة الجنود في الميدان .[citation:7]في هذا السياق، كانت الصحافة **تعكس إحباطاً شعبياً** متصاعداً، وتؤطر هذا الإحباط بشكل يدفع نحو البحث عن بديل.

2.الصحافة ودعم فكرة "حل الجيش" للأزمة

مارست الصحافة دوراً داعماً لظهور الجيش كبديل للسلطة السياسية الفاسدة، مما هيأ الرأي العام لتقبل الانقلاب العسكري لاحقاً. ففي استطلاع الرأي نفسه الذي أجرته "المصور"، حظي خيار "الجيش" بتأييد 92% من طلاب جامعة فؤاد، وهو ما يعكس أن الصحافة لعبت دوراً في **تطبيع فكرة التدخل العسكري**، وقدمت الجيش كـ "قوة منقذة" من الفساد، وهو السردية التي سادت بعد ذلك في خطاب الثورة .[citation:6]ولم تقتصر

الصحافة على الطلاب، بل أسهمت في بناء صورة "البطل العسكري" مثل السيد طه (الضبع الأسود)، الذي مثل نموذجاً للرجل الجديد المنقذ، بالمقابل فإن الصحافة كانت تُصوّر الملك فاروق كملك تافه منشغل باللهو، مما أدى إلى تآكل شرعيته في نظر الجمهور.[citation:8]

بذلك، تكون الصحافة قد رسمت ملامح أزمة الثقة في النظام السياسي، وصاغت **إجماعاً شعبياً** حول الحاجة إلى تغيير جذري، وإنْ كانت بذلك قد ساهمت أيضاً في تقويض أسس الحياة الديمقراطية ذاتها التي كانت تدّعي الدفاع عنها.

ثالثاً: آليات تشكيل الرأي العام في الصحافة المصرية (نقد)

1.استطلاعات الرأي كأداة للتوجيه

اعتمدت الصحف المصرية في ذلك الزمان على استطلاعات الرأي كأداة لقراءة نبض الشارع، وتوجيهه في الوقت نفسه. ففي استطلاع آخر ساعة عام 1946، كشفت النتائج أن نسبة المستقلين غير المنتمين للأحزاب وصلت إلى 98.5% بين الشباب الجامعي، مما يعكس **عزوفاً عاماً** عن المؤسسات السياسية، وأشارت النتائج إلى ظهور أحزاب جديدة مثل الحزب الشيوعي والحزب الاشتراكي، مما يؤكد قدرة الصحافة على **تتبع التحولات الأيديولوجية** في المجتمع .[citation:6]وكشفت استطلاعات أخرى عن أولويات الشباب، حيث كانت الجمال والمال تتصدر قائمة الرغبات، مما يرسم صورة عن **المادية والنزعة الفردية** التي كانت تسود حينها.

2.المديح والدعاية السياسية: بين النفاق والولاء

تناول الكتاب نقدياً ظاهرة المديح المبالغ فيه للسلطة، سواء من خلال إهداءات الكتب، أو قصائد المديح للخديوي والملك، والتي مثلت جزءاً من ثقافة الصحافة، حيث كانت تلك المديح وسيلة للتقرب من السلطة ونيل الرياسة. في هذا السياق، تكشف الكتاب عن طبيعة الصحافة كساحة للتناقض، فهي من ناحية أداة للنقد، ومن ناحية أخرى أداة للتملق، مما يدل على أن **الرقابة الذاتية والضغوط السياسية** كانت تشكّل ملامح الخطاب الصحفي.[citation:9]

3.الظواهر الاجتماعية كوسيلة للإلهاء

انتقد الكاتب ميل الصحافة إلى **تضخيم الأخبار الهزيلة** وإثارة الغرائز عبر نشر صور الفتيات والإعلانات الاستفزازية، مما جعل منها أداة للإلهاء عن القضايا الجوهرية. وكانت المجلات تستغل نجوم السينما والراقصات لإثارة الجدل وزيادة المبيعات، وهو ما يعكس صراعاً بين **دور الصحافة التثقيفي ودورها التجاري**، ويطرح تساؤلاً حول مدى التزام الصحافة برسالتها في تكوين رأي عام واعٍ بدلاً من رأي عام مستهلك.[citation:10]

رابعاً: الصحافة والصراع القيمي بين الماضي والحاضر

1.من النقد البناء إلى الفوضى الإعلامية

رصد الكتاب تحولاً في وظيفة الصحافة، حيث كانت قادرة في الماضي على تقديم نقد بناء للمسؤولين (كما في قضية "النقراشي باشا")، لكن هذه القدرة تضاءلت مع الوقت. الكتاب يقارن بين **شفافية الماضي في نقل الرأي والرأي الآخر**، وبين ما سماه "لغو الحديث" في بعض وسائل الإعلام الحالية، حيث أصبحت الصحف في بعض الأحيان أداة للترند والجدل فارغ المضمون .[citation:11]هذه المقارنة تعكس قلقاً من تدهور دور الصحافة في تشكيل رأي عام رشيد، وتحولها إلى مجرد سوق للمشاهدات.

2.الصحافة كمرآة للهوية الوطنية

اهتمت الصحافة المصرية في الماضي بتعزيز **الانتماء الوطني**، وبإظهار الصورة المشرقة للمصريين في الخارج، كما تناولت الكتاب نماذج من المصريين الذين احتفظوا بهويتهم الوطنية في المهجر، مثل الأديب جنيب كامل في المكسيك، ويلليان شيكوريل زوجة رئيس الوزراء الفرنسي، مما يشير إلى أن الصحافة كانت تسهم في **تشكيل هوية وطنية** تتجاوز الحدود، وتُذكّر الجمهور بمعاني الانتماء، وهذا نوع من تشكيل الرأي العام حول مفهوم "المواطنة" التي تتعارض مع "التنازل عن الجنسية" الذي يمارسه البعض اليوم.[citation:12]

خاتمة

يخلص كتاب **"هوامش على دفتر أحوال مصر "**إلى أن الصحافة المصرية كانت ولا تزال ساحة للتناقض، حيث لعبت دوراً مزدوجاً في تشكيل الرأي العام: فهي من ناحية، أداة

فعالة لفضح الفساد وكشف الإخفاقات ورسم معالم التحولات الاجتماعية، ومن ناحية أخرى، أداة للتملق، والإلهاء، والتضليل التجاري والسياسي. يظهر الكتاب من خلال النماذج التي قدمها، أن الصحافة كانت في مراحل تاريخية فارقة (خاصة قبيل ثورة 1952) طرفاً فاعلاً في **تكريس شرعية الجيش** كبديل للنظام المدني، بل ورسمت صورة سلبية للأحزاب والملك، مما مهّد لتقبل فكرة الانقلاب.

تشير النتائج التي يتوصل إليها هذا التحليل النقدي إلى فكرة أساسية: وهي أن الصحافة، عندما ترتهن لمصالح السلطة، أو تغرق في ترهات الإعلانات والترندات، تفقد دورها كرقيب ومؤثر إيجابي في الرأي العام. الرسالة التي يحملها الكتاب هي دعوة لاستعادة الصحافة لدورها في التوعية والإصلاح، والعودة إلى القيم النبيلة التي ميزت بعض الصحف في حقب ماضية، بعيداً عن الوظيفة الاستهلاكية أو الدعائية.

المراجع:

1. عبد العال، محمد فتحي. *هوامش على دفتر أحوال مصر*. دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2023، ص 35.
2. المصدر نفسه، ص 53-55.
3. المصدر نفسه، ص 119-120.
4. المصدر نفسه، ص 134-135.
5. المصدر نفسه، ص 15-16.
6. المصدر نفسه، ص 123-125.
7. المصدر نفسه، ص 131-133.
8. المصدر نفسه، ص 144.
9. المصدر نفسه، ص 79-87.
10. المصدر نفسه، ص 157.
11. المصدر نفسه، ص 112.
12. المصدر نفسه، ص 43-44.

أثر التحولات الاقتصادية على البنية الاجتماعية: كتاب "هوامش على دفتر أحوال مصر" نموذجاً

1. مقدمة: قراءة التاريخ من زاوية المهمشين

يُعد كتاب الدكتور محمد فتحي عبد العال "هوامش على دفتر أحوال مصر" قراءة فريدة في التاريخ المصري الحديث، إذ يقترب من التحولات الاجتماعية والاقتصادية من بوابة أرشيف الصحافة المصرية، مُركّزاً على الفئات المهمشة التي نادراً ما نالت حظها من التوثيق الرسمي. يمثل الكتاب نموذجاً بحثياً استثنائياً لرصد "أثر التحولات الاقتصادية على البنية الاجتماعية"، حيث لا يكتفي بعرض الأحداث الكبرى، بل يتتبع انعكاسات الأزمات المالية، وغلاء الأسعار، وأزمات الدواء والغذاء، والبطالة على حياة العوام، كالباعة الجائلين، والأطباء، والفلاحين، واللاجئين، وحتى الموظفين العموميين. يكشف الكتاب، عبر تقصي تفاصيل الحياة اليومية المنشورة في الصحف، عن الفجوة العميقة بين نخب سياسية واقتصادية منغمسة في مظاهر الترف، وبين جماهير تعاني شظف العيش وتقلبات السوق.

2. البنية الاقتصادية قبل 1952: بين الريع الزراعي والتبعية الاستيرادية

يرسم الكتاب صورة واضحة عن الطبيعة الاقتصادية الهشة لمصر في الفترة الملكية، والتي تميزت بالاعتماد على محصول القطن للتصدير، وتغلغل رأس المال الأجنبي، واتساع الفجوة الطبقية. يكشف الكتاب، في تناوله لتفاصيل حياة الباعة الجائلين، عن هشاشة هذه الشريحة، حيث "يعمل الباعة المتجولون 14 ساعة يومياً بلا عطلة أسبوعية، ويتراوح رأس مال الواحد بين عشرين قرشاً وخمسة جنيهات". يُظهر هذا الوصف قسوة التنافس في اقتصاد ريعي، واستمرارية معاناة الطبقات الدنيا. في المقابل، يرصد الكتاب حال "الباشاوات" وكبار الموظفين، كقصة إبراهيم بك مهدي التي أنهى فيها حياته شنقاً نتيجة عجز مالي قدره 6,611 جنيهاً، فيما كان سقف طموح وزير مالي آنذاك أنه لم يتمكن من شراء "سهم واحد" منذ توليه الوزارة، وهو ما يكشف عن ازدواجية قاسية بين منطق الندرة والقدرة على الادخار.

3. أزمة الدواء والغذاء: مرآة للتفاوت الطبقي

في تحليل دقيق لأزمة الدواء، يلجأ الكتاب إلى مقال الدكتور سعيد عبده في مجلة "آخر ساعة" (1952)، الذي يصف مصر بأنها "سوق مفتوحة لجميع الأدوية من كل العالم بلا باب ولا بواب". يكشف الكاتب عن واقع اقتصادي معقد: أربعمائة ألف مستحضر دوائي أجنبي يملأ رفوف الصيدليات لصالح "المرضى الخصوصيين" وهم أربعة ملايين، بينما تعاني المستشفيات الحكومية، التي يرتادها 16 مليون مصري، من نقص حاد وتبعية للأدوية المستوردة. لكن الأكثر إثارة، كما يبرز الكتاب، هو كشف حقيقة تزوير دواء "السلفاديازين" وبيعه باسم آخر، وهو انتهاك صارخ يكشف عن فساد استيرادي يعتمد

على ثقة المستهلك المفرطة بـ "عقدة الخواجة" والأجنبي، مما عزز تبعية اقتصادية سلبية.

4.البطالة والفقر: مقدمات التغيير

لم تغفل الصحافة التي يستند إليها الكتاب عن رصد مقدمات الثورة الاقتصادية. في استطلاع رأي أجرته مجلة "المصور" عام 1948، أظهر أن 90% من طلاب الجامعات يعتبرون الحياة النيابية فاشلة، وأن 92% منهم يؤيدون فكرة "الجيش" كوسيلة للحل. هذا التحول في الرأي العام لم يكن سياسياً فحسب، بل كان انعكاساً مباشراً لأزمة اقتصادية خانقة. فقد تزامنت سنوات 1948-1949 مع ارتفاع غلاء المعيشة، وتراجع المحاصيل بسبب نقص الأسمدة، وكثرة الإضرابات العمالية احتجاجاً على تآكل الأجور. يشير الكتاب إلى أن المجاعة والبطالة كانتا سبباً رئيسياً في تقويض شرعية النظام الملكي والأحزاب. تُظهر شهادات العمال في ذلك الوقت، كعامل الكهربائي الذي وصف العيد بـ "مأتم العمال"، أن الوعي الطبقي كان يختمر، وأن الجوع كان المحفز الأكبر للثورة.

5.التناقض الطبقي وإشكالية العدالة الاجتماعية

يصل الكتاب إلى ذروة نقده الاجتماعي من خلال المقارنة الصريحة بين بنود موازنة الدولة في 1948-1949، وبين مخصصات القصر الملكي. في الوقت الذي كانت فيه مخصصات الصحة العمومية 7.5 مليون جنيه، والزراعة 3.2 مليون، كانت مخصصات الملك تصل إلى 984 ألف جنيه، وبلغت نفقات الجيش 33 مليوناً. يُبرز الكتاب هذا التفاوت كدليل على نموذج تنموي مشوه. كما يورد تفاصيل صادمة عن قطار الملك فاروق الفاخر الذي كلف 154 ألف جنيه، في دولة تعاني من انتشار "الحفاء" بين غالبية الشعب، مما جعل مبادرة القصر للتبرع بـ 2,000 جنيه لمكافحة الحفاء مجرد "خطوات أبطأ من سلحفاة"، وفضحاً للتصديق على عدم جدوى الحلول الإنشائية في مواجهة الفقر الهيكلي.

خلاصة

يُجسّد كتاب "هوامش على دفتر أحوال مصر" أطروحة أساسية مفادها أن التحولات الاقتصادية في مصر، من ازدهار القطن إلى أزمات ما بعد الحرب، كانت محركاً رئيسياً لتشكل البنية الاجتماعية وتصدعها. فالتبعية الاقتصادية، والفجوة الطبقية الصارخة، وفشل الدولة في توفير الخدمات الأساسية كالدواء والغذاء، هي التي أوجدت أرضاً خصبة لرفض النظام القائم، ومهدت لقبول فكرة "الجيش" كبديل. الكتاب ليس مجرد أرشيف تاريخي، بل هو رؤية نقدية لواقع معيش، تثبت أن تداعيات الاقتصاد الريعي وتفشي الفساد لا تؤثر فقط في الميزان التجاري، بل في نسيج المجتمع وثقافته واستقراره، وأن أي إصلاح دون معالجة عميقة للبنية الاقتصادية والفوارق الاجتماعية محكوم عليه بالفشل.

أثر النوستالجيا في البناء السردي التاريخي

كتاب "رواق القصص الرمضاني" نموذجًا

تُعدّ النوستالجيا، أو الحنين إلى الماضي، أداةً سرديةً قويةً تتجاوز مجرد التذكر العاطفي، لتصبح آليةً مركزيةً في تشكيل الرواية التاريخية وإعادة بناء الماضي في وعي القارئ. يتخذ كتاب "رواق القصص الرمضاني" للدكتور محمد فتحي عبد العال من النوستالجيا نسيجًا رئيسيًا يُنسج من خلاله سردًا تاريخيًا شيقًا، يمزج بين الوقائع والأخبار والطرائف، ليقدم صورةً حيةً ومؤثرةً لمصر في عصورها المختلفة. هذا البحث الموسع يستكشف أثر النوستالجيا في البناء السردي للكتاب، مُحللاً آلياتها ووظائفها، ومُبرزًا كيف يُوظف الكاتب الحنين إلى الماضي ليس فقط لسرد التاريخ، بل لتقديمه كتجربة حية تتفاعل مع مشاعر القارئ ووعيه.

النوستالجيا كإطار سردي: بين الذاكرة الشخصية والجماعية

يُقدم الكاتب في مقدمة الكتاب إشارة واضحة إلى النوستالجيا كدافع رئيسي، وإن لم يصرّح بها، عندما يُهدي عمله إلى روح أخيه ووالدته، ويستشهد بحديث النبي عن الأعمال الجارية بعد الموت .هذا الافتتاح يُؤسس لعلاقة عاطفية حميمة مع الماضي، حيث يصبح السرد التاريخي امتدادًا لرغبة في البقاء والتذكير، وكأن الكتابة عن التاريخ هي شكل من أشكال الوفاء والصدقة الجارية. النوستالجيا هنا ليست مجرد حنين عابر، بل هي رؤية كونية تمنح الماضي قيمة أخلاقية وروحية في الحاضر.

كما تظهر النوستالجيا في البنية السردية التي يتبناها الكاتب، فهو لا يكتب تاريخًا أكاديميًا جافًا، بل يقدم "رحلة ثرية على أعتاب سير وأخبار الأقدمين". هذه "الرحلة" هي استعارة للنوستالجيا ذاتها، حيث يأخذ الكاتب القارئ في جولة عبر الزمان والمكان، من عمائر الأمراء المماليك إلى شوارع الزقازيق في ثلاثينيات القرن العشرين. هذا النمط السردي الرحلي يُحيي الماضي ويُقربه، ويُحوله من موضوع بارد للدراسة إلى فضاء حيوي يمكن اجتيازه واختباره.

ويُعزز الكاتب هذا الإحساس بالحنين من خلال إدخال شخصية "محمد أفندي" في فصل مستقل، والتي تمثل نموذجًا للشخص العادي الذي يعيش النوستالجيا في تفاصيل حياته اليومية .[citation:157]من خلال تتبع خطوات هذا الموظف البسيط في أول يوم من رمضان عام 1936، وقراءته لـ"كراسة الامتيازات" التي تمنحه تخفيضات على مختلف الخدمات، يُحوّل الكاتب التاريخ إلى تجربة شخصية حميمية. القارئ لا يقرأ عن الماضي

فحسب، بل يعيشه مع محمد أفندي وهو يتنقل بين عيادة الأسنان، والصيدلية، ومحلات الجزارة والبقالة. هذا الأسلوب السردي يجعل من النوستالجيا تجربة حسية، حيث تتجسد في الروائح والأسعار والملابس (الطربوش، البذلة الزرقاء، الحذاء الكاوتشوك) والتفاصيل الصغيرة التي تمنح الماضي نكهته الخاصة وتُشكل وعيًا جمعيًا بالحياة اليومية في زمن مضى.

آليات النوستالجيا: تنشيط الذاكرة عبر المكان والتفاصيل

يعتمد البناء السردي النوستالجي للكتاب على آلية مركزية تتمثل في ربط الأحداث التاريخية بالأماكن والمعالم التي لا تزال قائمة أو التي حملت أسماءها الذاكرة الشعبية. هذه الآلية تحوّل المكان إلى "مثير للذاكرة(memory trigger) "، حيث يُصبح كل جامع أو زاوية أو حي أو شارع بوابةً للحنين واستدعاء القصص المدفونة. فالكاتب يُقدم لنا "جامع الشيخ العبيط[citation:119] "، و"مسجد النبي دانيال" بالإسكندرية [citation:132]، و"زاوية الأباريقي[citation:38] "، و"جامع المسيحية[citation:60] "، وكلها أماكن تحمل أسماءً قد تثير الدهشة، ويُفكك الكاتب هذه الأسماء عبر السرد التاريخي، ليُخرج من دهاليز النسيان قصصًا عن بانيها الحقيقي وظروف بنائها وتحول مدلولاتها عبر الزمن. هذا التفكيك السردي، كما في قصة مسجد "غني" الذي تحول إلى "زاوية الأباريقي" نسبة إلى الشيخ أحمد الأباريقي الذي دفن فيه[citation:38-47] ، هو فعل نوستالجي بامتياز؛ فهو يعيد حق الماضي المنسي ويُعيد الاعتبار للطبقات التاريخية المطموسة تحت وطأة الشهرة اللاحقة.

وتتجلى قوة النوستالجيا في قدرتها على جعل التفاصيل الصغيرة حاملة للمعنى التاريخي الكبير. فالكتاب غني بالحكايات والطرائف التي قد تبدو هامشية، لكنها في جوهرها تشكل مادة الذاكرة الحية. على سبيل المثال، سرد قصة الشاعر الذي تغنى بزوجة الخليفة في رمضان وسخر من الصيام حتى نال هباتها [citation:56]، أو حكاية الشيخ البنا الذي رأى في منامه الإمام عبد الرحمن بن هرمز فأمره ببناء مسجده [citation:108]، أو قصة الضريح المنسوب لـ"سيدي الدوق" وباب المثل الشعبي "خليك ذوق .[citation:155] "هذه الحكايات لا تخدم فقط توثيق الوقائع، بل تنقل "روح" العصر، وصور الحياة اليومية، وعادات الناس، وعلاقاتهم بالسلطة والدين، مما يُغني السرد التاريخي ويجعله نابضًا بالحياة، ويُلبّي رغبة القارئ النوستالجية في معرفة كيف عاش الناس، وليس فقط ما حدث لهم.

وتُعدّ الصحف والمجلات القديمة، مثل "المصور"، و"آخر ساعة"، و"الأهرام"، و"الدنيا المصورة"، أداة أساسية لتفعيل النوستالجيا في الكتاب .[citation:20]يستخدمها الكاتب

كمصادر موثقة للأحداث والصور، وكبواباتٍ مباشرةٍ إلى وعي الماضي. فالصور التي تنشرها هذه المجلات، سواء كانت للأمراء والوزراء أو للحفلات الملكية أو لطلاب الامتحانات، تُعيد إحياء تلك اللحظات وتُقدّمها كشهادات مرئية تمنح القارئ إحساسًا بالمشاهدة والمعايشة. كما يُشير الكاتب إلى "خطابات الغرام على أوراق الإجابة" واعتذارات طلاب الامتحانات[citation:91-92] ، وهي تفاصيل يومية تعكس هموم الناس العاديين، وتستدعي في القارئ المعاصر مقارنة بين الماضي والحاضر، مما يُعزز الشعور النوستالجي بالحنين إلى "بساطة" أو "طزاجة" زمن مضى، ويدفع إلى التفكر في أحوال المجتمع وتطوره، وأحيانًا انحداره.

وظائف النوستالجيا: التوثيق، التوجيه، والتعويض

يؤدي البناء السردي النوستالجي في الكتاب عدة وظائف متداخلة تجعل من التاريخ أداةً للوعي والمتعة، وليست مجرد معلومات جامدة.

- **التوثيق العاطفي للحياة اليومية :**تظهر النوستالجيا هنا كأداة لتوثيق الحياة اليومية بتفاصيلها المادية والاجتماعية، وهو توثيق قد لا تجده في كتب التاريخ التقليدية. فوصف طبيعة الطعام في الموائد الملكية الرمضانية في عهد فاروق (فطائر بالجبن واللحم، فول بالبيض، دجاج محمر، قطائف باللوز، كنافة) [citation:79]، وتفاصيل العروض في سينما أبولون بالزقازيق وأسعارها [citation:164]، وتفاصيل هدايا الزواج و"الشيشب" المشغول باللؤلؤ [citation:152-153]، كلها تفاصيل مُشبعة بالقيمة النوستالجية، فهي تستدعي صورة حية عن ملامح الحياة الماضية، وتُوثقها في ذاكرة القارئ كصورة غنية بالحياة، وتُقيم جسرًا عاطفيًا معه.
- **التوجيه واستخلاص العبر :**تُوظف النوستالجيا في البناء السردي كوسيلة لتقديم الدروس والعبر الأخلاقية بطريقة غير مباشرة ومؤثرة. الكاتب لا يكتفي بسرد أحداث التناحر بين الأمراء المماليك أو فساد بعض الولاة، بل يقدمها في سياق قصصي يُبرز نتائجها، مثل انتهاء حكم السلطان حاجي [citation:10]، أو مقتل الأمير شيخو .[citation:11]كذلك، تبرز قصص كرم وتسامح بعض الشخصيات كقصة كريم الدين مع الرجل الذي كان يزوّر الإيصالات [citation:121]، وقصة البزاز وتوصيته بجيرانه وزوجتيه [citation:58]، كأمثلة أخلاقية متناقضة مع ما هو سائد. النوستالجيا هنا ليست حنينًا عاطفيًا فحسب، بل هي حنين إلى منظومة قيمية مفقودة أو مهملة، مما يُوجّه القارئ نحو التفكير في أخلاقيات الحاضر والمستقبل من خلال استذكار الماضي. وهذا يتفق مع المنهج الأخلاقي الذي

يعتمد عليه الكاتب في أعماله التاريخية الأخرى كما ذكر سيرته الذاتية .[citation:174]

- **التعويض عن واقع راهن :**تتخذ النوستالجيا أيضًا وظيفة تعويضية، حيث يقدم الكاتب صورة عن الماضي قد تكون أكثر إشراقًا مما كانت عليه في الواقع، أو على الأقل أكثر تماسكًا وثراءً بالمعنى الإنساني. هذا واضح في وصف عادات المصريين في رمضان في العهد الملكي، من موائد الإفطار الملكية [citation:77-80]، إلى مظاهر التكافل الاجتماعي كمطاعم الفقراء التي كانت تُقام بقروش بسيطة [citation:81]، وحتى لطف الصحافة في "عيدياتها" على شكل رسوم كاريكاتورية ساخرة للسياسيين .[citation:96-98] هذا السرد يُوحي بوجود حالة من التنظيم الاجتماعي والبهجة الجماعية التي قد يفتقدها القارئ في زمنه. بينما لا يُغفل الكاتب السلبيات (كالفساد، والاستبداد، والفقر)، إلا أن التركيز النوستالجي يُميل إلى استحضار جوانب إيجابية تُشكل نوعًا من المقاومة الثقافية لانحسار القيم المجتمعية، وتُعطي القارئ شعورًا بالانتماء إلى ماضٍ مجيد، وتُعزز هويته الوطنية، كما في قصة تكاتف المسلمين والأقباط ضد ظلم الكاتب القبطي في عهد المماليك .[citation:140]

النوستالجيا بين الحقيقة والخيال: البناء السردي للذاكرة

يُظهر التحليل أن النوستالجيا في "رواق القصص الرمضاني" ليست مجرد استحضار للماضي، بل هي عملية بناء سردي نشط ينتقي ويُشكّل عناصر التاريخ وفق منظور عاطفي ومعرفي معين. الكاتب، وهو باحث وأكاديمي [citation:173]، يستند إلى مصادر متنوعة مثل كتب الخطط (كخطط المقريزي)، والموسوعات (كالأعلام للشيال)، والصحف، إلا أنه يُضفي على هذه المادة طابعًا قصصيًا حيويًا .[citation:171]النوستالجيا هنا تُصبح المرشح الذي يُمرر من خلاله المواد التاريخية، فيُبرز ما له طابع إنساني ودرامي وأخلاقي، ويُقدّم الحقائق التاريخية في قوالب سردية جذابة تحمل في طياتها عبرة أو طرافة أو دهشة.

كما يُظهر الكتاب وعيًا نقديًا لحدود هذه النوستالجيا، فلا يخلو السرد من إشارات إلى أخطاء أو تناقضات تاريخية، مثل اختلاف التواريخ في قصة بناء مسجد سيدي عبد الرحمن بن هرمز[citation:108-109] ، أو التكهن بحقيقة نسب مسجد النبي دانيال .[citation:135]هذا الوعي يُضفي على العمل مصداقية، ويُذكر القارئ بأن النوستالجيا هي قراءة عاطفية للتاريخ، وليست الحقيقة المطلقة. إن هذا المزج بين التوثيق العلمي والسرد النوستالجي هو ما يمنح الكتاب طابعه الخاص، ويجعله ليس

مجرد كتاب تاريخ، بل "رواقًا" للقصص والحكايات كما يشير عنوانه، حيث يلتقي البحث بالمتعة، وتلتقي الحقيقة بالحنين.

خاتمة

يُشكل كتاب "رواق القصص الرمضاني" نموذجًا رائدًا في توظيف النوستالجيا كقوة دافعة للبناء السردي التاريخي. يتجاوز الكاتب الدكتور محمد فتحي عبد العال حدود التوثيق الأكاديمي ليجعل من الحنين إلى الماضي أداةً مركزية لإحياء التاريخ وتقديمه كتجربة إنسانية حية. من خلال ربط الأحداث بالأماكن، وإغناء السرد بالتفاصيل اليومية والطرائف، واستدعاء مصادر الماضي، يُحقق الكاتب عدة وظائف: توثيق عاطفي للحياة اليومية، وتقديم دروس أخلاقية بأسلوب مؤثر، وتعويض القارئ عن فجوات الحاضر بصورة تماسك وبهجة للماضي. هذه النوستالجيا ليست هروبًا من الواقع، بل هي تأمل فيه من خلال مرآة الماضي، ومحاولة لفهم الهوية والبناء عليها، وهي دعوة للقارئ لأن يعيد اكتشاف تاريخه ليس كمجرد معلومات، بل كجزء من ذاكرته الحية ومصدر للعبرة والفخر. إنه فعل إنساني يمنح التاريخ معنىً في الحاضر، ويُبقي على جذور الذاكرة حيةً ومؤثرة.



قراءة التاريخ من خلال أرشيف الصحافة والأوراق والكتب القديمة كتاب "رواق القصص الرمضاني "نموذجًا

المقدمة: التاريخ بين النص الرسمي والهامش المنسي

غالبًا ما يُكتب التاريخ من منظور "المنتصرين" أو من خلال السرديات الرسمية للبلاطات والسلاطين، تاركًا تفاصيل الحياة اليومية، والأصوات المهمشة، والنوادر الاجتماعية في الظل. ومع ذلك، تبرز أهمية دراسة التاريخ عبر مصادر موازية، مثل أرشيف الصحافة، والأوراق الشخصية، والكتب القديمة، لكشف النقاب عن تلك الطبقات المنسية.

يُمثل كتاب **"رواق القصص الرمضاني "**للدكتور محمد فتحي عبد العال نموذجًا فريدًا لهذه المنهجية في كتابة التاريخ. فهو ليس مجرد تأريخ تقليدي للأحداث الكبرى، بل هو "رحلة ثرية على أعتاب سير وأخبار الأقدمين "، حيث يمزج بين الوثائق التاريخية ومصادر الصحافة القديمة، ليروي لنا قصصًا عن العمران، والأعلام، والعادات الاجتماعية التي شكلت نسيج المجتمع المصري، وخصوصًا خلال الشهر الفضيل .يعتمد هذا البحث الموسع على دراسة المنهج الذي اتبعه الكاتب، مستعرضًا كيف استثمر أرشيف الصحافة والمصادر الكلاسيكية لبناء سرد تاريخي حي ونابض، مع تقديم قائمة مراجع تعكس ثراء هذه المادة.

أولًا: قراءة التاريخ عبر أرشيف الصحافة والأوراق القديمة

تكمن أهمية الكتاب في منهجيته التي تتجاوز الاعتماد على كتب التاريخ الكبرى، من خلال:

1. **توظيف الصحافة كوثيقة حية :**استخدم الدكتور عبد العال الصحف والمجلات القديمة (مثل "المصور"، و"آخر ساعة"، و"الأهرام") كمرآة تعكس لحظات المجتمع بدقة عالية. الصحافة، بمقالاتها وإعلاناتها وصورها، لا تسجل فقط الأحداث السياسية، بل تعكس أيضًا تفاصيل الحياة اليومية، مثل أسعار السلع، والموضة، والأزمات المعيشية، والطرائف الاجتماعية. على سبيل المثال، يُقدم الكتاب وصفًا دقيقًا للمآدب الرمضانية الملكية ومكوناتها، وإعلانات السينما، وحتى أوراق إجابات الطلاب في الامتحانات، مما يجعل القارئ يعيش زمن تلك الأحداث.
2. **إعادة إحياء "الأزمنة المنسية :"**من خلال الإبحار في هذه الوثائق، يقوم الكاتب بما يشبه "السباحة عكس التيار "ليخرج إلينا بقصص قد طواها النسيان، مثل الحكايات عن حي المنيرة وأفراح الأنجال، أو نوادر الشخصيات العامة من سياسيين وقضاة وشيوخ، بتفاصيلهم الإنسانية وهفواتهم اليومية.

ثانيًا: منهجية "رواق القصص الرمضاني" في سرد التاريخ

يتميز أسلوب الدكتور محمد فتحي عبد العال بالتوفيق بين الدقة الأكاديمية والطابع الأدبي الشيق، حيث يرتكز منهجه على عدة ركائز:

1. **ربط العمران بالسير (التاريخ الموازي) :**ينطلق الكتاب من معالم المكان؛ مسجد، حي، أو ضريح. ففي حلقة "عمائر الأمير الكبير" يتتبع أثر الأمير المملوكي شيخو، ليحكي عن صراعات السلطة بين الأمراء من خلال بناء الشيخو لمسجده وخانقاه، منتقلًا بين سرديات المقرزي وواقع الآثار. وكأن العمران هو الشاهد الحي والمحايد على أحداث التاريخ.
2. **الترحال بين الأزمنة :**لا يلتزم الكاتب بالتسلسل الزمني التقليدي، بل ينتقل بين العصر المملوكي، والفاطمي، والأسرة العلوية في مقالات متجاورة، ليخلق لوحة بانورامية لتطور المكان والمجتمع. فعلى سبيل المثال، ينتقل الحديث من مسجد النبي دانيال (ارتباطًا بالعهد البابلي القديم) إلى جامع الشيخ العبيط في العصر الحديث، ثم إلى مولد سيدي العريان الذي يمثل تلاحمًا بين التراث الإسلامي والقبطي، مما يؤكد على عمق مصر الحضاري.

3. **التنوع في المصادر:** يظهر تنوع مصادر الكاتب جليًا في قائمة المراجع المرفقة في آخر الكتاب، والتي تُعتبر خريطة طريق للباحثين في التاريخ الاجتماعي المصري.

ثالثًا: قائمة المراجع والموارد الأساسية (وفقًا لنموذج "رواق القصص الرمضاني")

تشكل المراجع التي اعتمد عليها الكتاب إطارًا ممتازًا لمن يرغب في دراسة التاريخ المصري من منظور مشابه. يمكن تقسيم هذه المصادر إلى محاور رئيسية:

1. وثائق العصر (المصادر الأولية والصحافة)

- **الصحف والمجلات القديمة:** تشكل العمود الفقري للكتاب، حيث تقدم مادة حية لتتبع التفاصيل اليومية. من أهمها:
  - **مجلة المصور:** استخدمها الكاتب لتوثيق الحياة الملكية، المآدب الرمضانية، وصور الشخصيات العامة [citations: 78, 79, 80, 91, 95, 96, 98].
  - **مجلة آخر ساعة:** استخدمت لرصد الطرائف والنوادر الاجتماعية والسياسية، كبطاقات االمتيازات وحكايات التدخين في رمضان [citations: 78, 90, 92, 96].
  - **مجلة الدنيا المصورة:** مصدر لتصوير الحياة الثقافية والفنية في تلك الفترة [citations: 73, 81, 82].

ملاحظة منهجية: تُعد هذه المجلات مرآة للوعي الجمعي وذائقة العصر، حيث تعكس (بتحيزاتها) ما كان يُنشر ويُستهلك إعلاميًا، مما يجعلها وثيقة اجتماعية لا تقل أهمية عن الوثيقة الرسمية .

2. الموسوعات والخطط التاريخية

- **خطط علي باشا مبارك (الخطط التوفيقية):** مرجع أساسي لفهم عمران القاهرة والمحروسة في العصر الحديث، حيث استخدمه الكاتب في توثيق أماكن مثل مسجد الشيخ العبيط وجامع الليث بن سعد، ليقارن وصف مبارك بما آل إليه المكان [citation:110].
- **خطط المقريزي:** مرجع لا غنى عنه للعهد المملوكي، حيث اعتمد عليه في وصف ثراء الأمراء كشيخو وأحوال القاهرة [citation:7, 17].

3.كتب التراجم والسير والطبقات

- **"النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لابن تغري بردي :**مصدر أساسي لتاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، وقد استشهد به الكاتب في واقعة الفساد في عهد الناصر محمد .[citation:106]
- **"أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي" لجمال الدين الشيال :**استخدمه الكاتب في حلقة "مسجد الرؤيا المباركة" لتوثيق قصة بناء المسجد .[citation:108]
- **"تحفة الأحباب وبغية الطلاب" للسخاوي :**وثيقة ثمينة للمزارات والأولياء، استخدمها الكاتب في "نوادر من في القبور.[citation:58] "
- **الدرر السنية، والكتب الفقهية (كتاب الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري) :**توثيق للجانب الديني والتصوفي ومواقف العلماء.[citation:29-30]

4.مصادر تاريخ الأسرة العلوية ومصر الحديثة

- **كتابا عبد الرحمن الرافعي عن عصر إسماعيل :**مرجع أساسي للفترة التي شهدت أفراح الأنجال والأحداث المالية الكبرى .[citation:27]
- **"حياة في البلاط الملكي المصري" لألفريد جوشوا بتلر :**لتوثيق الطقوس الرمضانية في عهد الخديوي توفيق من منظور معاصر .[citation:69]
- **"شوارع لها تاريخ" لعباس الطرابيلي :**مرجع لفهم تاريخ الشوارع والأحياء، مثل حي المنيرة وجامع الشيخ العبيط .[citation:27]
- **الكتب الشخصية للدكتور محمد فتحي عبد العال نفسه :**يمثل مراجع ذاتية مثل "تاريخ حائر بين بان وآن"، و"على هامش التاريخ والأدب"، و"حكايات من مجور التاريخ"، مصدرًا لتكامل الرؤية الفكرية وتوثيق الشخصيات التي تكرر ذكرها مثل إبراهيم الهلباوي ومحمود ثابت.[citation:146, 153, 158]

5.المصادر الرقمية والأرشيفية الحديثة

- **الموقع الرسمي للملك فاروق الأول على فيسبوك :**يُشير إلى استخدام الكاتب للمنصات الرقمية الحديثة التي تنشر صورًا ووثائق نادرة للملكية، مما يعكس منهجية حديثة في جمع المادة التاريخية.
- **أرشيف الصحافة المصرية بمكتبة الإسكندرية (CEDEJ):** وهو مصدر حيوي يُعد نموذجًا مثاليًا لما يمكن أن تقدمه الأرشفة الرقمية للباحثين، حيث يضم 800 ألف مقال .

رابعًا: قراءة نقدية في المنهج (التحديات والفرص)

- **المزايا :**يكمن تفوق المنهج في **الإنسانية** التي يضفيها على التاريخ، فبدلًا من سرد معارك وسلاطين، يقدم لنا الناس العاديين وهمومهم. كما أنه منهج **تفاعلي**، يجعل القارئ شريكًا في الرحلة، وكأنه يقرأ أوراقًا شخصية لشخص عاش في ذلك الزمان.
- **التحديات :**الاعتماد على الصحافة كمرجع رئيسي يتطلب وعيًا بطبيعة الخطاب الصحفي الذي كان خاضعًا للرقابة الملكية ثم لاحقًا لتحيزات سياسية. ومع ذلك، فإن قراءة هذه النصوص بوعي نقدي، ومقارنتها بالمصادر الأخرى، يحول هذا العيب إلى ميزة، حيث يكشف لنا عن آليات التضليل والدعاية في العصر نفسه.

الخاتمة: التاريخ المجهر والراوي الحكيم

يمثل كتاب "رواق القصص الرمضاني" منهجًا مبتكرًا في كتابة التاريخ، يمكن وصفه بـ **"التاريخ المجهري "**أو **"التاريخ من الأسفل** ."فهو لا يهتم فقط بجبروت الملوك، بل بقدرتهم على تنظيم مائدة إفطار، وشغفهم بالسجائر، وعلاقتهم بفن العمارة أو النوادر الشعرية.

من خلال الغوص في أرشيف الصحافة القديمة والكتب المنسية، نجح الدكتور محمد فتحي عبد العال في بناء متحف افتراضي للحياة المصرية. وفي زمن تزداد فيه الحاجة لفهم الهوية من جذورها، تظل هذه المنهجية طريقًا ممهدًا للباحثين لاستكشاف كنوز الماضي، ليس كأطلال جامدة، بل كحكايات حية تنبض بالحياة، يرويها راو حكيم عاشق لتاريخ بلاده.

قائمة المراجع الموسعة المقترحة (حسب نموذج الكتاب)

1. **المصادر التاريخية الأساسية:**
   - المقريزي، تقي الدين .*المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (خطط المقريزي).*
   - ابن تغري بردي، جمال الدين .*النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.*
   - السخاوي، نور الدين .*تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات.*
   - مبارك، علي باشا .*الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة.*

2. **المراجع الحديثة والمعاصرة:**

- الرافعي، عبد الرحمن .*عصر إسماعيل*)جزئين.(
- الشيال، جمال الدين .*أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي*.
- الطرابيلي، عباس .*شوارع لها تاريخ (سياحة في عقل الأمة)*.

3. **دوريات وأرشيف:**

- أرشيف مجلة *المصور*.
- أرشيف مجلة *آخر ساعة*.
- أرشيف مجلة *الدنيا المصورة*.

4. **أرشيف الصحافة الرقمي – (CEDEJ) مكتبة الإسكندرية .**
5. **كتابات المؤلف الخاصة:**

- عبد العال، محمد فتحي .*تاريخ حائر بين بان وآن*.
- عبد العال، محمد فتحي .*على هامش التاريخ والأدب*.
- عبد العال، محمد فتحي .*حكايات من محور التاريخ*.

أفراح وأتراح: حوادث اجتماعية وسياسية واقتصادية شهدها رمضان

كتاب "بلوغ المرام في أحداث ووقائع رمضان" نموذجاً

مقدمة

شهر رمضان ليس فقط شهر عبادة وصيام، بل هو أيضاً شهر شهد على مر العصور الإسلامية أحداثاً كبرى شكلت ملامح التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي للأمة الإسلامية. وفي هذا السياق، يأتي كتاب الدكتور محمد فتحي عبد العال "بلوغ المرام في أحداث ووقائع رمضان" ليكشف عن جانب مهم من هذه الأحداث التي ارتبطت بالشهر الفضيل، مقدماً رؤية تاريخية تحليلية تجمع بين دقة التوثيق وسلاسة السرد، وبين استعراض حوادث الصفوة والعوام على السواء.

أولاً: الإطار المنهجي للكتاب

يعتمد الدكتور محمد فتحي عبد العال في كتابه على منهج تاريخي تحليلي، يستند إلى مصادر متنوعة تشمل كتب التاريخ الإسلامي، وأرشيف الصحافة المصرية، والوثائق النادرة. وقد جاء الكتاب في ثلاثة أقسام رئيسية: الأول بعنوان "حدث في رمضان"، والثاني "قصص الأمكنة"، والثالث "حكايات من الأرخبيل في رمضان". وهذا التقسيم يعكس رغبة المؤلف في تقديم صورة شاملة ومتكاملة عن أحداث رمضان، تجمع بين البعد السياسي والعمراني والاجتماعي.

ثانياً: أفراح رمضان.. من عرس بوران إلى المصاهرات السياسية

يعرض الكاتب في القسم الأول من كتابه نماذج من الأفراح والمناسبات السعيدة التي ارتبطت بشهر رمضان، ومن أبرزها:

1.عرس بوران والمأمون

يقدم الكتاب تفاصيل دقيقة عن واحدة من أغرب وأفخم حفلات الزفاف في التاريخ الإسلامي، وهي زواج الخليفة العباسي المأمون من بوران ابنة الحسن بن سهل في الثامن من رمضان سنة 210هـ. ويصف المؤلف مظاهر البذخ والإسراف التي رافقت هذا العرس، من نثر الدرر والمسك على رؤوس المدعوين، إلى إقامة الولائم التي ذبح فيها

ثلاثون ألف رأس من الغنم يومياً. ويعكس هذا الحدث طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية في العصر العباسي، حيث كانت الزيجات السياسية أداة لتدعيم السلطة وكسب الولاءات.

2.المصاهرة المصرية-الإنجليزية

يتناول الكتاب محاولة المصاهرة بين الملك العادل شقيق صلاح الدين الأيوبي وأخت الملك ريتشارد قلب الأسد، في 29 رمضان 587هـ، وهي محاولة سياسية فاشلة تهدف إلى اقتسام السلطة في بيت المقدس. ويشير الكاتب إلى أن هذه المصاهرة كانت مناورة سياسية من ريتشارد لكسب الوقت وإطالة أمد المفاوضات، وهو ما يظهر بعداً مهماً من أبعاد الصراع الصليبي الإسلامي.

ثالثاً: أتراح رمضان.. من صراعات السياسة إلى مآسي المجتمع

لا يخلو شهر رمضان في كتاب الدكتور عبد العال من الأحداث المأساوية والصراعات السياسية والاقتصادية التي تركت آثارها العميقة في المجتمع الإسلامي، ومنها:

1.مأساة الأميرين سالر وسنجر

يروي الكتاب قصة الصداقة المأساوية بين الأميرين سيف الدين سالر وعلم الدين سنجر الجاولي، وكيف انتهت حياة الأول جوعاً في سجن قلعة الجبل، والثاني في السجن ثماني سنوات، في رمضان وغيره من الشهور. وهذه القصة تعكس طبيعة الصراعات السياسية الدموية في العصر المملوكي، حيث كان الملك عقيمًا كما وصفه بعض المؤرخين، لا يرحم الأقارب ولا الأصدقاء .

2.أزمة الحلوى في عصر المماليك

يقدم الكتاب مشهداً طريفاً يعكس الأثر الاقتصادي على المجتمع المصري في عصر السلطان قنصوه الغوري، حيث نظم المصريون شكوى شعرية للمحتسب من ارتفاع أسعار الحلوى في رمضان. ويحلل الكاتب أسباب هذه الأزمة، التي تعود إلى سياسات التوسع في الملكيات الخاصة للأراضي الزراعية وضعف السلطة المركزية، مما أثر سلباً على صناعة السكر التي كانت مزدهرة في السابق .

3.فتنة الواعظ الرومي

في العاشر من رمضان سنة 1123هـ، نشبت فتنة اجتماعية كبرى في مصر عندما بدأ واعظ رومي يهاجم ممارسات الاحتفال بالأولياء وزيارة قبورهم. وتطورت الأحداث إلى مواجهات بين أنصاره وعلماء الأزهر، مما اضطر الوالي العثماني إلى التدخل ونفي الواعظ خارج البلاد. ويظهر هذا الحدث حجم الصراع الاجتماعي والديني في المجتمع المصري في العصر العثماني .

رابعاً: قراءة في أرشيف الصحافة المصرية

يخصص الكاتب قسماً مهماً من كتابه لاستعراض أحداث رمضان من خلال أرشيف الصحافة المصرية، وخصوصاً من مجلتي "مصر الحديثة" و"الدنيا المصورة . "ويقدم من خلالها صوراً حية عن قضايا المجتمع الرمضانية في مطلع القرن العشرين، مثل:

- **قضية عقوق الوالدين** :وهي قصة شاب رفعته أمه للقضاء بتهمة عدم الإنفاق عليها، وهي قضية تذكرنا بقصة الخليفة عمر بن الخطاب التي أوردها الكاتب، حيث يكون العقوق من الطرفين، فالأب الذي لا يحسن اختيار اسم ابنه وتعليمه يكون قد عقه قبل أن يعقه الابن .
- **قضية النصب والاحتيال** :قصة المدرس حسن عبده خضر الذي أوهم ضحاياه بأنه وسيط لشركة وهمية، ونصب على مستثمرين فلسطينيين وموظفين حكوميين، حتى انكشف أمره وحكم عليه بالسجن. لكن المفاجأة كانت في إرث ضخم تركه له ابن عمه في جنوب أفريقيا، مما يطرح تساؤلات حول مصير هذه الثروة .

خامساً: شخصية "محمد أفندي فتحي" وبانوراما الحياة الرمضانية

يبدع الكاتب في رسم صورة بانورامية للحياة المصرية في رمضان خلال ثلاثينيات القرن العشرين، من خلال شخصية "محمد أفندي فتحي"، المدرس والمثقف المصري الذي كان يجلس في غرفته الأثرية ويقلب أوراق التاريخ والصحف القديمة. وتمثل يومياته نافذة على تحولات المجتمع المصري في تلك الفترة، من هموم التعليم والخدمات الصحية، إلى تحولات الهوية بين الفرعونية والإسلامية والعروبية .

ويتناول الكاتب أيضاً قصصاً أخرى من أرشيف الصحافة، مثل قصة الطيار المصري محمد صدقي الذي نجح في رحلة طيران من ألمانيا إلى مصر عام 1930، في سبق مصري في مجال الطيران، وقصة لطيفة النادي أول كابتن طيار مصرية .

خاتمة

يقدم كتاب الدكتور محمد فتحي عبد العال نموذجاً متميزاً في كتابة التاريخ الاجتماعي والسياسي من خلال التركيز على شهر رمضان كفضاء زمني شهد تحولات كبرى في التاريخ الإسلامي. ويتميز الكتاب بقدرته على الربط بين أحداث الماضي وحاضر المجتمع، واستخلاص الدروس والعبر من تلك الوقائع. كما يبرز أهمية أرشيف الصحافة المصرية كمصدر أساسي لفهم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، وخصوصاً في جوانبه الاجتماعية التي غالباً ما تغيب عن كتب التاريخ التقليدية.

ويؤكد الكتاب على أن رمضان لم يكن شهر عبادة فحسب، بل كان مسرحاً للأحداث الكبرى، والصراعات السياسية، والتحولات الاقتصادية، والعلاقات الاجتماعية، مما يجعله مرآة عاكسة للمجتمع الإسلامي عبر العصور.

قائمة المراجع والمصادر

المصادر الأساسية:

1. عبد العال، محمد فتحي. "بلوغ المرام في أحداث ووقائع رمضان". دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2024 .

المصادر التاريخية:

2. الجبرتي، عبد الرحمن. "عجائب الآثار في التراجم والأخبار ."
3. ابن إياس، محمد بن أحمد. "بدائع الزهور في وقائع الدهور ."
4. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. "السلوك لمعرفة دول الملوك ."
5. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. "البداية والنهاية ."

المصادر الحديثة:

6. قاسم، محمود. "تاريخ السينما المصرية ."
7. ماهر، سعاد. "مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ."
8. عبيد، مصطفى. "هوامش التاريخ.. من دفاتر مصر المنسية ."
9. عزب، خالد. "فقه العمران.. العمارة والمجتمع والدولة في الحضارة الإسلامية ."

الدوريات والصحف:

10. أرشيف الصحافة المصرية: جريدة الأهرام، مجلة المصور، مجلة الدنيا المصورة، مجلة مصر الحديثة، مجلة الجامعة، مجلة آخر ساعة، مجلة اللطائف المصورة .

11. محفوظ، أحمد. "خبايا القاهرة قديماً وحديثاً ."

المقالات:

12. مقالات الدكتور محمد فتحي عبد العال على بوابة الأهرام والأهرام المسائي .


EGYPT
رأس التاريخ

دراسة: رمضان عبر العصور - كيف عاشت الشعوب أجواء الشهر قديماً؟

بالاستناد إلى كتاب "بلوغ المرام في أحداث ووقائع رمضان" للدكتور محمد فتحي عبد العال

مقدمة

شكّل شهر رمضان عبر العصور الإسلامية المختلفة مناسبة دينية واجتماعية فريدة، تميزت بطقوسها وعاداتها التي تطورت بمرور الزمن. يتناول هذا البحث دراسة أجواء رمضان كما عاشها الناس في مختلف العصور، مستنداً بشكل رئيسي إلى كتاب "بلوغ المرام في أحداث ووقائع رمضان" للدكتور محمد فتحي عبد العال، الذي يقدم قراءة معمقة في التاريخ الاجتماعي والثقافي للمجتمعات الإسلامية خلال الشهر الفضيل، بالاستناد إلى أرشيف الصحافة المصرية والمصادر التاريخية النادرة .

يهدف هذا البحث إلى تقديم صورة متكاملة عن كيفية احتفاء الشعوب، وخاصة في مصر، بهذا الشهر، بدءاً من العصر العباسي مروراً بالعصر المملوكي وصولاً إلى مطلع القرن العشرين، مسلطاً الضوء على الجوانب المادية والروحية لهذه الاحتفالات، وتحليلها في سياقها السياسي والاجتماعي.

أولاً: رمضان في العصر العباسي - مظاهر البذخ والاحتفاء

يُظهر الكتاب أن الاحتفالات الرمضانية في العصر العباسي، وخاصة في البلاط، كانت تتسم بالبذخ والفخامة، وهو ما يعكس قوة الدولة واستقرارها السياسي في فترات معينة، لكنه يثير أيضاً تساؤلات حول مفهوم الإسراف.

من أبرز ما وثقه الكتاب في هذا السياق حفل زفاف الخليفة المأمون من "بوران" ابنة الوزير الحسن بن سهل، والذي أقيم في الثامن من رمضان سنة 210 هـ (825 م) .لم يكن هذا الزفاف مجرد مناسبة عائلية، بل كان حدثاً سياسياً كبيراً يهدف إلى توثيق العلاقة مع الفرس وإخماد الفتن .

وصف الكاتب تفاصيل هذا العرس الذي لا يزال يُضرب به المثل في التبذير، حيث نُثرت على رؤوس المدعوين بنادق المسك التي تحوي رقاعاً بأسماء ضياع وأموال، وفرشت أرضية قاعة الاحتفال بحصير منسوج من خيوط الذهب، ونُثرت اللآلئ والدرر على

الحاضرين. وقد بلغت نفقات هذا الحفل مبلغاً خيالياً، حيث قُدّرت نفقة الخليفة ورجاله بأربعمئة ألف درهم، وتم ذبح ثلاثين ألف رأس من الغنم يومياً لمدة تسعة عشر يوماً .

تُظهر هذه التفاصيل أن رمضان في ذلك العصر لم يكن شهراً للزهد فحسب، بل كان مناسبة لإظهار السلطة والثراء، ولعب دور اجتماعي وسياسي بالغ الأهمية، وهو ما يفسر موقف المأمون الذي أنكر هذا الإسراف في بعض اللحظات، معتبراً إياه مبالغاً فيه، مما يعكس جدلاً أخلاقياً حول حدود الإنفاق في المناسبات الدينية حتى في أوساط الحكام أنفسهم .

ثانياً: العصر المملوكي - التوسعة والطقوس المؤسسية

يمثل العصر المملوكي (1250-1517م) مرحلة ذهبية في تطور الطقوس الرمضانية، حيث أصبحت هذه الطقوس أكثر تنظيماً وارتبطت بدور اجتماعي واضح للحكام، وبرزت العديد من التقاليد التي لا تزال حاضرة في وجدان المصريين حتى اليوم.

1.احتفالات رؤية الهلال

كانت ليلة رؤية هلال رمضان من أبرز الاحتفالات في العصر المملوكي، واتخذت طابعاً رسمياً ومؤسسياً. وفقاً للمصادر التاريخية، كان خمسة من القضاة يخرجون حاملين الفوانيس والشموع لاستطلاع الهلال، بينما كان كبار التجار وشيوخ الحرف يجتمعون بجوار منارة المدرسة المنصورية .وعند ثبوت الرؤية، كان القضاة يعلنون بدء الصيام، وينقل الحاضرون الخبر إلى عامة الناس .استمرت هذه التقاليد حتى العصر العثماني، وأضيف إليها لاحقاً إطلاق المدافع من القلعة للإيذان ببدء الشهر، وهي عادة يُعتقد أنها بدأت بالمصادفة في عهد السلطان خشقدم (1467م)، حين أُطلقت قذيفة مدفعية وقت المغرب في أول أيام رمضان، فظن الناس أن ذلك إيذان رسمي للإفطار، فأقرّ السلطان هذه العادة .

2.مظاهر التوسعة والكرم

اشتهر سلاطين وأمراء المماليك بالتوسعة على الفقراء والمحتاجين في رمضان، واعتبروا ذلك جزءاً من واجباتهم الدينية والسياسية .ففي عهد السلطان الظاهر بيبرس، كان يُعتق ثلاثون إنساناً بعدد أيام الشهر، وتُفتح مطابخ القاهرة لإطعام الفقراء .وبلغ هذا الإنفاق أوجه في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، حيث كان يُصرف في رمضان ثلاثة آلاف قنطار من السكر، قيمتها ثلاثون ألف دينار، وذلك لاشتهار المصريين بصنع الحلوى في هذا الشهر .

كما كانت الأوقاف الخيرية التي أنشأها السلاطين والأمراء تلعب دوراً محورياً في إطعام الصائمين. ففي وثيقة وقف السلطان حسن بن قلاوون، نجد تفصيلاً دقيقاً للنفقات المخصصة لموائد الإفطار، والتي كانت تشمل اللحم والخبز والأرز والعسل والتوابل .كما اهتم السلاطين بإفراج الغارمين وسداد ديون المسجونين من أموالهم الخاصة، كرماً من الشهر الكريم .

3.الحلوى والمسحراتي

ارتبط شهر رمضان في الوعي الشعبي المصري، كما يوثق الكتاب، بالحلوى التي كانت من مظاهر الاحتفاء الأساسية. وقد رصد الكتاب شكوى شعرية من عامة الناس في رمضان من ارتفاع أسعار الحلوى، مما يعكس مدى ارتباط هذه الأطعمة بالشهر الفضيل في ذلك الزمان .كما انتشرت في العصر المملوكي شخصية "المسحراتي" الذي كان يقوم بإيقاظ الناس للسحور، وكان "ابن نقطة" من أشهرهم في عهد السلطان الناصر محمد، وقد اشتهر بفن "القومة" وهو نوع من الابتهالات والتسابيح .

ثالثاً: مطلع القرن العشرين - البانوراما الاجتماعية من خلال الصحافة

يخصص القسم الثالث من الكتاب لاستكشاف حياة المجتمع المصري في رمضان خلال القرن العشرين، وذلك بالاعتماد على أرشيف الصحافة المصرية، الذي يعد مرآة صادقة للواقع الاجتماعي بكل تناقضاته .ويركز الكاتب على فترة الثلاثينيات من القرن الماضي، وهي فترة شهدت تحولات سياسية كبرى نحو الاستقلال عن الاحتلال البريطاني .

على عكس الفصول التاريخية السابقة التي اهتمت بالصفوة، يكشف هذا القسم عن حياة الطبقات المختلفة من خلال:

- **عالم الفن :**تناولت الصحف أخبار الأفلام المصرية مثل فيلم "شبح الماضي" الذي نافس الأفلام الأجنبية وعُرض في رمضان، وأثار جدلاً حول حقوق الملكية الفكرية والأدبية .
- **قضايا المجتمع :**رصدت الصحف قضايا اجتماعية مثل عقوق الابن لأمه، وجرائم النصب، والتحرش الطبي، مما يُظهر أن هذه الظواهر لم تكن وليدة العصر الحديث، بل كانت جزءاً من النسيج الاجتماعي منذ عقود .
- **الحياة اليومية :**تقدم صحف ومجلات ذلك العصر، مثل "مصر الحديثة" و"الدنيا المصورة" و"الجامعة"، صورة حية عن حياة الناس، بدءاً من صراعاتهم اليومية في الحصول على الخبز، مروراً بشكواهم من سوء الخدمات الصحية، وانتهاءً باهتماماتهم بالرياضة والفن وحفلات الزفاف .

وقد أعاد الكاتب، من خلال هذا الرصد، اكتشاف حوادث ووقائع شهر رمضان في القرن الماضي، مقدماً صورة أكثر منطقية للحدث وتفرداً في المعالجة .

خاتمة

يخلص البحث من خلال دراسة كتاب "بلوغ المرام في أحداث ووقائع رمضان" إلى أن تجربة الشعوب، وخاصة المصرية، مع شهر رمضان كانت تجربة غنية ومتطورة، عكست التحولات السياسية والاجتماعية في كل عصر. فمن مظاهر البذخ في البلاط العباسي إلى طقوس التوسعة المؤسسية في العصر المملوكي، وصولاً إلى الصورة المعقدة والمتناقضة للمجتمع المصري في مطلع القرن العشرين، يظل رمضان محطة مركزية تعبر عن هوية الأمة وقيمها وتطلعاتها. وقد لعبت الصحافة المصرية، في العصر الحديث، دوراً حيوياً في توثيق هذه الحياة اليومية، مما جعلها مصدراً لا غنى عنه لفهم التاريخ الاجتماعي والثقافي للمنطقة.

المراجع:

1. عبد العال، محمد فتحي .(2024) *بلوغ المرام في أحداث ووقائع رمضان (من ذاكرة التاريخ)* . دار ديوان العرب للنشر والتوزيع.
2. البباوي، علياء مجدي محمد محمود .(2020) *مظاهر الاحتفال بشهر رمضان و عيد الفطر في العصر المملوكي (1250-1517 م 648- 923 ه)* .جامعة بابل، كلية التربية الأساسية .
3. Daily News Egypt. (2019, May 6). *Ramadan begins: history of moon sighting in Egypt*.
4. Daily News Egypt. (2021, April 14). *Iftar Cannon: History behind special Ramadan tradition in Egypt*.
5. مصطفى عبيد. (مذكور في المصادر) .*هوامش التاريخ.. من دفاتر مصر المنسية*) .مذكور في قائمة المراجع بالكتاب .(
6. علياء مجدي محمد محمود البباوي. (مذكور في المصادر) .*مظاهر الاحتفال بشهر رمضان و عيد الفطر في العصر المملوكي*) .مذكور في قائمة المراجع بالكتاب .(
7. خالد عزب. (مذكور في المصادر) .*فقه العمران.. العمارة والمجتمع والدولة في الحضارة الإسلامية*) .مذكور في قائمة المراجع بالكتاب .(
8. أحمد محفوظ. (مذكور في المصادر) .*خبايا القاهرة قديماً وحديثاً*) .مذكور في قائمة المراجع بالكتاب .(

فلسفة الزمن والتجربة الحياتية عند محمد فتحي عبد العال

دراسة في فكر كاتبٍ بين العلم والدين والتاريخ

مقدمة

يمثل كتاب "على مقهى الأربعين" للكاتب والباحث المصري د. محمد فتحي عبد العال محطة فارقة في مسيرة كاتب جمع بين تخصصات متعددة؛ فهو الصيدلي الباحث، والأديب الروائي، والدارس للعلوم الإسلامية. جاء الكتاب "جامعاً لعدد من المقالات التي كتبها وقد بلغ الأربعين "، وهذا العمر ليس مجرد رقم في مسيرة الكاتب، بل هو محطة تأملية تطرح أسئلة الوجود والمعرفة والتجربة الإنسانية في سياق مجتمعي عربي يعيش أزمات متراكمة.

تتميز فلسفة الكاتب بنمط خاص في النظر إلى الزمن، لا بوصفه خطاً مستقيماً للأحداث، بل بوصفه نسيجاً متداخلاً من الماضي والحاضر والمستقبل، وامتداداً للتجربة الإنسانية التي تمتد جذورها إلى عمق التاريخ وتتجه بأنظارها إلى آفاق المستقبل. وقد صاغ هذا التصور في مقدمته للكتاب قائلاً: "لأن أمراضنا متصلة بين الماضي والحاضر، فهدف هذا الكتاب هو المستقبل وقارئ الغد الذي إما أن يتحسر على واقعه منضماً إلى مقهانا وإما أن ينخرط في صناعة واقعه. "

تسعى هذه الدراسة إلى تفكيك فلسفة الزمن والتجربة الحياتية عند محمد فتحي عبد العال، من خلال ثلاثة محاور رئيسية: العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر، ودور التجربة الشخصية في بناء المعرفة، ورؤيته للمستقبل بوصفه أفقاً للفعل والإبداع.

أولاً: الماضي حاضراً.. الزمن التاريخي عند عبد العال

1.التاريخ مرآة الحاضر

يمثل التاريخ في فكر عبد العال بوصلة أساسية لفهم الحاضر وتشكيل المستقبل. لا ينظر إلى التاريخ بوصفه سرداً جامداً للأحداث، بل بوصفه "مستودع العبر "الذي يمكن من خلاله استنطاق الواقع وكشف علله. ويرى أن "التاريخ مستودع العبر والدين ينبوع الأخلاق والعلم هو مشرط العقل للتعامل مع اللامنطق واللا معقول في كلا من التاريخ والدين. "

في مقالاته، يمارس الكاتب قراءة نقدية للتاريخ، لا تقف عند حدود النقل والاستظهار، بل تتجاوزه إلى التحليل والمقارنة والاستنتاج. وهو ما يتجلى في كتابه "نوستالجيا الواقع والأوهام" حيث يقدم قراءة مختلفة لتاريخ مصر الحديث، متجاوزاً النمطية في النظر إلى الشخصيات التاريخية، مقدماً "التاريخ من زوايا أقرب للحقيقة فلا شيء في هذا العالم خير كله أو شر كله. "

2.نقد الموروث التاريخي

يمارس عبد العال نقداً صريحاً للمرويات التاريخية المستقرة، خاصة فيما يتعلق بالسير الذاتية لشعراء الجاهلية وأخبارهم، معتبراً أن كثيراً منها "موضوع فقط للتسلية وشد الانتباه، وبعضها محتلق للتدليل على العظات والعبر، والبعض متعلق بالحط من مكانة هذا أو تزكية أفعال ذاك . "ويصل في نقده إلى حد التشكيك في دقة التفاصيل التاريخية التي تداولها المؤرخون القدماء، قائلاً: "هل تصدق يا عزيزي قصص النعمان أو كسرى أو هرقل مما رواه مؤرخونا القدامى؟. "

لكن هذا النقد لا يقود الكاتب إلى رفض الماضي، بل إلى قراءة مختلفة تقوم على استخلاص العبر والمواقف، مع إدراك أن "العبرة في دروس التاريخ ولو كان غير صحيح هو المهم وهو الأهم من تحري التاريخ ذاته أحياناً . "وهذا الموقف يكشف عن نظرة براغماتية للتاريخ، تضع الفائدة الحضارية والأخلاقية فوق دقة التفاصيل الجزئية، وهي نظرة تجعل من التاريخ أداة للنهضة لا متحفاً للاستذكار.

3.اللغة بين الماضي والحاضر

في مقالته عن اللغة العربية، يطرح عبد العال رؤية تجديدية تراعي تطور الزمن. يرى أن اللغة العربية "بمفرداتها وقواعدها تحتاج للتطوير المستمر وإدخال أشكال الحداثة عليها للتيسير على الناس وجذبهم للتعامل بها في كل أطياف حياتهم بدلاً من اللغات الأجنبية . "وفي الوقت نفسه، يميز بين لغة التداول اليومي ولغة القرآن، مؤكداً أن "لغة القرآن العربية فلا مساس بها ولا اقتراب منها، فقدسيتها من قدسية القرآن الكتاب السماوي في العالم الإسلامي. "

يقترح الكاتب نموذجاً لغوياً يجعل من اللغة العربية الفصحى "لغة (أم) للباحثين في صميم اللغة، في الوقت الذي ينبثق عنها لغة أبسط في قواعدها النحوية والتصريفية والإملائية . "وتكشف هذه الرؤية عن وعي عميق بجدلية الثبات والتطور في الزمن الثقافي، فثمة ما هو مقدس لا يقبل التغيير (لغة القرآن)، وثمة ما هو قابل للتطوير بما يتناسب مع متطلبات العصر (لغة الحياة اليومية).

ثانياً: التجربة بوصفها منهج معرفة

1.أمانة القلم وصدق التجربة

يمثل مبدأ "أمانة القلم" محوراً أساسياً في فلسفة الكتابة عند عبد العال. يصرح في مقاله المعنون بهذا الاسم: "هل أندم على ما كتبت في مراحلي الأولى أو حتى الأخيرة؟! بالطبع لا.. إنه ليس عيباً أو عاراً أن أغيّر فكري مع كل مرحلة من عمري، كما أنه ليس من الخطيئة أبداً أن أصل إلى نتيجة من مصادر مغلوطة أو غير مكتملة اعتمدت عليها في أول حياتي لعدم توافر غيرها. "

وهذا الموقف يعكس فلسفة تجريبية في التعامل مع المعرفة، تقوم على الإقرار بأن الخطأ جزء من رحلة التعلم، وأن النضوج الفكري لا يتحقق "إن لم نترك لأنفسنا خوض التجربة مرة بعد مرة . "ويعترف الكاتب بوقوعه في أخطاء معلوماتية في كتاباته الأولى، ويضرب أمثلة على ذلك: الخطأ في أن مومياء خفرع هي التي غرقت قبالة السواحل الإسبانية، والصواب أنها مومياء منكاورع ، والخطأ في اسم ابن عمار الخيلي والصحيح ابن العماد الحنبلي .

2.التصحيح والمراجعة في ضوء الزمن

يتجاوز الكاتب مجرد الاعتراف بالخطأ إلى ممارسة التصحيح في كتاباته اللاحقة. لكنه يقر بأن "النشر الورقي مكلف، وأنا أتحمل كلفة النشر في كثير من الأحيان . "وهي إشارة إلى التحديات المادية التي تواجه الكتّاب، والتي تقف عائقاً أمام عملية التعديل والتنقيح المستمرة التي يتيحها النشر الإلكتروني.

تثير هذه التجربة أسئلة مهمة عن العلاقة بين الكتابة والزمن: هل تتغير الكتابة بتغير الكاتب؟ وكيف يمكن التوفيق بين الرغبة في التصحيح واحترام ما سبق كتابته بوصفه شاهداً على مرحلة محددة من العمر والتجربة؟ يجيب الكاتب عن ذلك من خلال فلسفته القائمة على "أن المحاولة مرة بعد مرة خير من الركون والانتظار ليوم نشعر به بالنموذج الذي لن يأتي ونحن للدعة ساكنون. "

3.التعلم المستدام ومنهج التكامل المعرفي

يعكس التنوع العلمي في مسيرة عبد العال منهجاً تكاملياً في بناء المعرفة؛ فهو صيدلي حاصل على ماجستير في الكيمياء الحيوية، ودبلوم في الدراسات الإسلامية، وشهادة في إدارة الجودة الطبية .وقد تعلم من "البحث العلمي المستمر والتحليل والاستقصاء والمثابرة والقدرة على التمييز بين الروايات والقصص التاريخية. "

وقد أوصلته هذه الرحلة التكاملية إلى رؤية جامعة تصل بين مجالات المعرفة المتباعدة ظاهرياً. فهو يربط بين الطب والتاريخ والدين، مقدماً قراءات علمية للحديث النبوي حول الذبابة ، ومستنداً إلى أبحاث علمية حديثة تتحدث عن "استخلاص المضادات الحيوية من الذباب "، ومستخلصاً من ذلك أن "الدين هو الأساس فهو كلام رب العالمين وما بلغه الرسل والأنبياء عنه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما دون ذلك كلها أمور نسبية خاضعة للمراجعة. "

ثالثاً: فلسفة المستقبل وأفق التغيير

1.دعوة للفعل لا للتحسر

في رؤيته للمستقبل، يميز عبد العال بين موقفين: موقف "التحسر على الواقع" وموقف "صناعة الواقع . "المستقبل عنده ليس قدراً محتوماً، بل هو أفق يتحقق بالفعل الإنساني الواعي. وهذا الموقف يعكس فلسفة وجودية تؤمن بأن الكتابة والممارسة الثقافية يمكن أن تكون أداة للتغيير، وأن الكاتب ليس مجرد راصد للظواهر، بل مشارك فاعل في بناء الواقع.

ويتجسد هذا التوجه في نقده للنماذج السلبية في المجتمع، من فساد المنظومة الصحية ، إلى انحدار الأخلاقيات في الأوساط الثقافية ، مروراً بتفشي ظواهر اجتماعية سلبية كالتحرش الإلكتروني وانتهاك الخصوصيات .يقدم في كل هذه القضايا قراءة تشخيصية وتفكيكية للواقع، مع طرح مقترحات عملية للتغيير، وإن كان يقر بأن بعض الحلول تظل "رهينة بالبرت الكامل. "

2.الأمل في الأجيال الجديدة

على الرغم من النقد اللاذع للواقع، يبقى الأمل في المستقبل حاضرا، وهذا الأمل يتمركز في "قارئ الغد" وفي "الأجيال القادمة . "فالكتاب "يهدف للمستقبل وقارئ الغد "، مما يشير إلى تصور أن التغيير الحقيقي يحتاج إلى زمن أطول، وإلى أجيال جديدة قادرة على استيعاب دروس الماضي وتحويلها إلى أفعال في الحاضر.

يتجلى هذا الأمل أيضاً في دعوته لفتح المجال أمام الكتّاب الجدد الذين "أصبحت كتبهم على الأرصفة ولا يعلم أحد سيرتهم الأدبية والفكرية، مع أن ما قدموه لخدمة الأدب والفكر والعلم يفوق ما قدمه هؤلاء الذين لا نكف عن ترديد أسمائهم بكثير . "وهو بذلك ينقد آليات التكريس الثقافي التي تهمش المبدعين خارج الدائرة الرسمية، داعياً إلى "جمع هذه الثروة من الكتب القديمة وإعادة بعثها وتقديمها من جديد. "

3.قيمة إحياء التراث وحفظ الموروث

يتخذ التراث في فكر عبد العال قيمة محورية لأنه "جسر إلى المستقبل"، وليس لأنه من بقايا الماضي. لذلك، يخصص مقالاً بعنوان "خُلد أثرك" يحث فيه الكتّاب على حفظ تراثهم بأنفسهم، لأن "إن لم تحفظ تراث أعمالك بنفسك، فلن يقوم بهذه المهمة أحد من بعدك ."ويقدم صوراً حزينة عن ميراث أدباء كبار يُباع على الأرصفة، ومكتبات قيمة تُهمل .

في هذا السياق، يركز على فكرة أن "النجاح الحقيقي يتحقق في وجهة نظري حينما تتأكد أن قارئك قد فهم الرسالة ولم ولن يغرق في تيه عميق ."إنه يضع سهولة الوصول إلى القارئ كمعيار لنجاح الرسالة الفكرية، وهذا يعكس نظرة عملية للكتابة كأداة للتواصل والتغيير في الزمن الحاضر.

رابعاً: نقد الأخلاقيات وتجليات "النظرية الخلقية" في الزمن الراهن

يمثل النقد الأخلاقي العمود الفقري لرؤية عبد العال للزمن المعاصر، حيث يرى أن التراجع الأخلاقي هو أساس الأزمات المجتمعية في مصر والعالم العربي. ولعل أبرز تجليات هذا النقد تركيزه على "غياب الضمير والوازع الأخلاقي" كأعظم أمراض المنظومة الصحية ، وانتقاده لـ "الناقد الحاقد" الذي يحوّله "الحقد" عن ممارسة النقد البناء إلى "الهدم والخراب "، وتنديده بخيانة المجالس وكشف الأسرار، وخاصة عبر وسائل التواصل الاجتماعي التي وصفها بأنها "أظهرت جوانب خفية وسيئة لدى الكثيرين مثل الرغبة في التشهير بالناس، وشهوة استغلال ضعفهم في محادثاتهم الخاصة وابتزازهم. "

هذا البعد الأخلاقي في كتابته يعكس نظرة عميقة للزمن، إذ يعتبر أن الأخلاق ليست قيماً زمانية، بل "ثوابت أبدية" هي التي تضمن استمرارية الحضارة وصحة المجتمع. ويؤكد في أكثر من موضع أن الأخلاقيات يجب أن تكون حاضرة في كل الممارسات: من الطب ، إلى النقد الأدبي ، إلى النشر الإلكتروني ، إلى العمل الإداري ، إلى العلاقات الاجتماعية . هذه الرؤية تقدم "الأخلاق" بوصفها الهاجس الأهم في فلسفة الزمن عنده؛ فالزمن الصحي هو زمن الأخلاق، والزمن المريض هو زمان "خلط الأوراق والمفاهيم المرتبكة. "

خامساً: المنهج التكاملي.. ضمير العصر وأدوات النقد

1.الكتابة كمرآة للزمن

الزمن في فكر عبد العال ليس سلسلة من الدقائق والساعات، بل هو "نسيج مركب"، ماضيه حاضر في لحظته الراهنة، ومستقبله يحضر في واقعه. يعبر عن ذلك بأسلوب "القصة التاريخية"، منهجاً يجمع بين واقعية التاريخ وحرية الخيال، حيث يرى أن "القصة التاريخية تسمح بقدر لا بأس به من الخيال الذي تستطيع من خلاله أن تنقل بعض أفكارك للقارئ" بينما "المقال التاريخي فيه ثوابت لا يمكن الحياد عنها . "هذا الجمع بين الخيال والواقع يمثل واحداً من أهم أدواته في قراءة الزمن وإعادة تشكيل الرؤية، فهي تسمح للكاتب بأن يقود التاريخ بدلاً من أن يكون مقوداً به .

2.نقد النقد.. خيانة الضمير الثقافي

في مقاله عن "محنة النقد الأدبي في مصر "، يقدم عبد العال تشريحاً نقدياً للمؤسسة الثقافية وعلاقاتها المشوهة بالزمن. يصور مأساة الكاتب الذي يظن أن النقاد سيتلقفونه، ليفاجأ بأن "الصحفية تفتقد الشغف للقراءة" مع أنها تعلن يومياً عن رواية ابنتها المبتدئة . هذا الموقف يعكس أزمة زمنية في الثقافة: زمن انعدام الجدارة والنزاهة، حيث "كل شيء له مقابل" و"عدد ضئيل من دور النشر هي التي تدعم الكاتب وتوفر له فرص النشر المجاني . "وهو بذلك يفضح آليات التكريس الثقافي التي تهمش المبدعين خارج الدائرة الرسمية ، داعياً إلى ضرورة أن يكون النقد "النظرة الخارجية المتفحصة المنبثقة من مسؤولية مجتمعية يقوم بها ناقد مؤهل لهذه المهمة، وليست تفضلاً أو فوقية من أحد. "

خاتمة

تشكل فلسفة الزمن والتجربة الحياتية عند محمد فتحي عبد العال نظاماً معرفياً متماسكاً، يقوم على ثلاث ركائز أساسية: الاعتبار بالتاريخ، والتجربة الشخصية، والنظرة المستقبلية. الماضي عنده ليس ماضياً منقضياً، بل هو حاضر يمارس سلطته على الواقع، والتجربة الإنسانية ليست مجرد أحداث تمر، بل هي مادة للتعلم والتصحيح المستمرين، والمستقبل ليس مجرد امتداد زمني، بل هو أفق للفعل والأمل.

وهذه الرؤية تكشف عن كاتب استوعب جدلية الزمن بوصفه عملية مركبة، لا خطاً مستقيماً. كاتب استطاع أن يخرج من عباءة التخصص الواحد إلى فضاء المعرفة التكاملية، ليقدم رؤية جامعة تصل بين العلم والدين والتاريخ، بين الماضي والحاضر والمستقبل، بين النقد البناء والأمل المشرق. وعلى مقهى الأربعين، يظل الكاتب يسامر قراءه ويدعوهم إلى الفعل لا التحسر، وإلى صناعة الواقع لا الانتظار، مؤمناً بأن "كل عصر يتسلم الدفة من العصر السابق عليه مضيفاً إليه وحافظاً له قدر المستطاع. "

قائمة المراجع

المصادر الأساسية (كتاب "على مقهى الأربعين")

1. عبد العال، محمد فتحي. *على مقهى الأربعين* (مقالات). الطبعة الأولى. دار ديوان العرب للنشر والتوزيع، 2022.

المصادر المساعدة (للتعريف بالكاتب وسياق أعماله)

1. Mohamed Fathi Abdel Aal ("جبرتي الجائحة وعماد التاريخ). "Smashwords. تم الاطلاع عليه في 6 يوليو، 2026 https://lb02.smashwords.com/profile/view/mohamedfathi .



من الركود إلى الرشاد: تجليات "أزمة منتصف العمر" الفكرية في المقال الاجتماعي المعاصر

كتاب "على مقهى الأربعين" نموذجا

المستخلص

تتناول هذه الدراسة مفهوم "أزمة منتصف العمر" الفكرية بوصفها إطاراً تحليلياً لفهم النقد الاجتماعي في الأدب المقالي المعاصر، متخذة من كتاب "على مقهى الأربعين" للكاتب المصري د. محمد فتحي عبد العال نموذجاً تطبيقياً. تسعى الورقة إلى استقصاء كيف يتجاوز مفهوم الأزمة – في سياقه العربي – دلالته النفسية الفردية ليتحول إلى أداة نقد اجتماعي شامل، يعكس حالة "الركود" التي يشخصها الكاتب في منظومات الصحة والتعليم والثقافة والأخلاق، ويرسم ملامح "الرشاد" كخيار إصلاحي ممكن. تعتمد الدراسة منهجاً وصفياً تحليلياً، يتقاطع مع نظريات الفلسفة الأخلاقية وعلم الاجتماع النقدي، لتكشف عن البُعد المعرفي والسياسي الخفي في هذا النوع من الكتابة المقالية. وتخلص إلى أن كتاب "على مقهى الأربعين" ليس مجرد مجموعة مقالات، بل هو وثيقة تعكس

"أزمة وعي" جماعي، وتقدم مشروعاً نهضوياً قائماً على النقد الذاتي والمؤسسي، في محاولة للخروج من "الركود" المعرفي والأخلاقي إلى "الرشاد" المجتمعي.

المقدمة

عند منتصف العمر، كما في منتصف الحياة، تتشكل لحظة تأملية فارقة. هي لحظة وقوف على عتبة، حيث يتساوى الماضي والحاضر في ثقلهما، وتصبح الأسئلة حول المعنى والإنجاز والفقدان أكثر إلحاحاً. في سياق الفكر الغربي، صاغ المحلل النفسي إليوت جاكس مصطلح "أزمة منتصف العمر (midlife crisis) "في عام 1965 لوصف تلك المرحلة التي يواجه فيها الفرد، غالباً في منتصف الثلاثينيات أو الأربعينيات، وعياً متزايداً بفنائه، مما يثير أزمة اكتئابية تُخفى بمحاولات قهرية لدفع مظاهر التقدم في السن .هذه الأزمة، كما طورها لاحقاً مفكرون مثل كيران سيتيا، ليست مجرد أزمة نفسية عابرة، بل هي انعكاس لفلسفة حياة مفرطة في التركيز على الأهداف المحدودة (telic activities) وإهمال الأنشطة التي تُمارس لقيمتها الذاتية(atelic activities) ، مما يولد شعوراً بالفراغ والتكرار .

لكن ماذا لو تجاوزت هذه الأزمة حدود الفرد إلى دائرة المجتمع بأسره؟ وماذا لو تحولت إلى مرآة تعكس أزمة مجتمع بأكمله، راكد في مساراته، متعثر في بناء ذاته، مسكون بهواجس الماضي دون رؤية واضحة للمستقبل؟ هذا هو السؤال المحوري الذي تطرحه هذه الدراسة، من خلال تحليل كتاب "على مقهى الأربعين" للكاتب المصري د. محمد فتحي عبد العال. يأتي عنوان الكتاب نفسه ليؤطر هذه الإشكالية: "الأربعين" ليست مجرد عدد المقالات، بل هي إشارة رمزية إلى تلك المرحلة الفاصلة في العمر، وفي حياة الشعوب، حيث يحين وقت المراجعة والتقييم، وحيث تكون الأزمة بوابتها نحو الوعي أو الانكسار.

ينطلق البحث من فرضية مفادها أن "أزمة منتصف العمر" في الأدب المقالي العربي المعاصر، كما يتجلى في كتاب "على مقهى الأربعين"، ليست مجرد استعارة أدبية، بل هي أداة تحليلية نقدية وأخلاقية. فهي تسمح للمؤلف بالنظر في "مرآة المجتمع" ليسجل مظاهر "الركود" التي يلمسها في الواقع المصري المعاصر – في منظومة الصحة، والنقد الأدبي، واللغة، والأخلاق العامة – وليطرح في الوقت نفسه تصوراً لـ"الرشاد"، أي للخروج من هذا المأزق المعرفي والأخلاقي عبر النقد الذاتي والمؤسسي.

لتحقيق هذا الهدف، تقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسة: يستعرض المحور الأول الإطار المفاهيمي والنظري لمفهوم "أزمة منتصف العمر" وتطوره في السياقين الغربي

والعربي. ويتناول المحور الثاني مظاهر "الركود" الفكري والاجتماعي التي يشخصها الكاتب في كتابه، محللاً إياها من خلال عدسة النقد الأخلاقي والاجتماعي. أما المحور الثالث فيكشف عن معالم "الرشاد" المقترحة، مبرزاً كيف يمكن للمقال النقدي أن يكون أداة لبناء رؤية إصلاحية.

أولاً: الإطار النظري والمفاهيمي: أزمة منتصف العمر بين الفرد والمجتمع

يُعد مفهوم "أزمة منتصف العمر" في جوهره وليداً للحداثة الغربية، حيث ارتبط ببروز الفردانية، وتفكك الأطر التقليدية، وصعود ثقافة الإنجاز والاستهلاك .بدأ إليوت جاكس بتشخيص هذه الظاهرة في خمسينيات القرن الماضي، وركز على الجانب النفسي الفردي: "القلق المرتبط بالموت"، و"محاولات البقاء شاباً"، و"الفراغ" و"غياب المتعة الحقيقية في الحياة ."وقد شاعت هذه الرؤية من خلال أعمال مثل "محطات (Passages) "لغيل شيحي، التي قدمت الأزمة كمرحلة تحولية قابلة للفهم والإدارة .

ومع ذلك، وسع مفكرون آخرون النقاش ليشمل أبعاداً فلسفية واجتماعية. يرى الفيلسوف كيران سيتيا أن جوهر الأزمة يكمن في "الاستثمار المفرط في الأنشطة الموجهة نحو الهدف" والتي، بمجرد تحقيقها، تفقد معناها، مما يخلق شعوراً بالتكرار والتفاهة. الحل، حسب سيتيا، هو التوجه نحو الأنشطة "اللاغائية – (atelic) "كالقراءة، والمشي، والصداقة – التي لا تستنفد بتحقيقها، وتُمارس لقيمتها الذاتية .

هذه الرؤية الفلسفية تفتح الباب لفهم "أزمة منتصف العمر" على مستوى أوسع، فالمجتمعات أيضاً يمكن أن تعيش أزماتها "في منتصف العمر" حينما تجد نفسها عالقة بين تراثها وحداثتها، بين أهدافها الماضية التي حققتها أو فشلت في تحقيقها وبين غياب رؤية مستقبلية تمتلك معنى ذاتياً. هذا هو السياق الذي يمكن قراءة كتاب "على مقهى الأربعين" من خلاله. فالكاتب، وهو في الأربعينيات من عمره، يختبر هذه الأزمة على المستويين الفردي والجماعي، لكنه يتجاوز التشخيص النفسي إلى نقد اجتماعي شامل.

في السياق العربي، كما يشير بعض المحللين، هناك وعي متزايد بوجود "أزمة أخلاقية" أو "تراجع في الضمير الجمعي"، حيث يتحدثون عن "تآكل الثقة" في المجتمع، و"انتشار العنف"، و"فقدان البوصلة الأخلاقية" في المؤسسات والعلاقات اليومية .كما تبرز أبحاث اجتماعية تتناول شعور الشباب المصري بـ"التهميش" و"الضياع" بين ضغوط التقاليد وطموحات الحداثة، وهو ما يضفي على الأزمة طابعاً وجودياً وجماعياً .في هذا السياق،

تقدم مقالات عبد العال تشخيصاً حاداً، وتُعتبر بمثابة "أرشيف" لوعي مجتمعي في حالة تأمل نقدي، يجمع بين محاولة فهم الماضي (التاريخ والتراث) واستشراف المستقبل .

ثانياً: مظاهر "الركود": تشخيص العلل في مقالات المقهى

يتجلى "الركود" في كتاب "على مقهى الأربعين" من خلال نقد الموجع الذي يوجهه الكاتب إلى عدة قطاعات حيوية في المجتمع المصري. يمكن تصنيف هذه المظاهر تحت ثلاثة عناوين رئيسية: ركود المؤسسات، وركود الثقافة، وركود الأخلاق.

.1ركود المؤسسات (الصحية والأكاديمية):

يمثل النقد اللاذع لمنظومة الصحة المصرية محوراً أساسياً في الكتاب. يستخدم الكاتب مصطلح "منظمة في غرفة الإنعاش" لوصف حالها، معتبراً أن غياب الضمير والأخلاق هو أصل الداء .[citation:23]يتجلى هذا الركود في:

- **غياب الرقابة :**عدم محاسبة الأطباء، وترك الأمر لضمائرهم الفردية، مما يفتح الباب للفساد.
- **الفوضى العلاجية :**تحول العيادات الخاصة إلى فوضى، وارتباط الأطباء بالمعامل والصيدليات من خلال عمولات خفية، مما يثقل كاهل المريض .[citation:24]
- **إهانة كرامة المريض :**يروي الكاتب مشاهد مؤلمة عن معاناة المرضى مع الروتين البيروقراطي، مثل رجل مقطوع الساقين يزحف على الدرج، أو مريض أورام يقضي أيامه الأخيرة في التنقل بين اللجان بدلاً من تلقي العلاج.[citation:25-26]
- **جائحة الفوضى :**يشن هجوماً عنيفاً على مراكز العلاج الطبيعي والتغذية التي يديرها غير المتخصصين، معتبراً إياها "كارثة بكل المقاييس.[citation:28] "

هذا النقد لا يقتصر على وصف المشكلة، بل يقدم رؤية للإصلاح، مثل التحول من العيادات الخاصة إلى المستشفيات ككيان مؤسسي، وتطبيق التأمين الصحي الشامل، والرقابة الصارمة .[citation:28]الأهم أن الكاتب لا يلوم الفرد، بل يركز على انهيار البنية المؤسسية والأخلاقية التي تسمح بهذا الفساد. هذا يتقاطع مع التحليلات الاجتماعية التي ترى أن الأزمة الأخلاقية هي "فشل في منظومة القيم" وليست مجرد أخطاء فردية .

.2ركود الثقافة (النقد الأدبي واللغة والخطاب الديني):

يعرض الكاتب صورة نقدية للوسط الثقافي المصري، متحدثاً عن "محنة النقد الأدبي في مصر" حيث يصور النقاد بين "الحاقد" الذي يتهم بالسرقة دون دليل، والمتسلط الذي يمارس "فوقية" ويتعامل مع الأدب كسلعة يملك حق تقديرها أو إهدارها. كما يصف فتور

همة الكتّاب الجدد عندما يصطدمون بعزوف المؤسسات الثقافية الكبرى عنهم [citation:10-11].يلمس الكاتب هنا إحدى المفارقات: ففي الوقت الذي ترتفع فيه الأصوات الناقدة للظواهر الاجتماعية، يبقى الحقل الثقافي نفسه مصاباً بالجمود، وكأنه جزء من "الركود" الذي يعانيه المجتمع.

كما يطرح الكاتب رؤية نقدية للغة العربية، واصفاً إياها بأنها "عقبة" أمام الناطقين بها بسبب تعقيد قواعدها النحوية والإملائية و"معاجم تذخر بكلمات مهجورة" [citation:66]. وفي خطوة جريئة، يفصل بين اللغة العربية كلغة للتعامل اليومي ولغة القرآن الكريم، داعياً إلى تطوير الأولى وتيسيرها دون مساس بقدسية الثانية [citation:70].هذه النظرة "العملية" نحو اللغة تعكس أزمة "منتصف العمر" الثقافية، حيث يدرك المثقف أن الأداة التي ينقل بها الفكر قد أصبحت هي نفسها عائقاً أمام تجديده.

أما الخطاب الديني، فيخصص له الكاتب فصلاً في حواره مع "حضرة السيد مثقف"، ناقداً تكبر المثقفين وتعاليّهم على النصوص الدينية بحجة "التنوير". وهو يرد على ذلك من خلال قصصه الشخصية التي تغير فيها قناعاته، مثل قصة سرقة محفظته التي جعلته يقتنع بفكرة "حد السرقة"، أو قصة حديث الذباب الذي وجد له تفسيرات علمية بعد سنوات. يستنتج الكاتب: "الدين هو الأساس... وما دون ذلك كلها أمور نسبية خاضعة للمراجعة" [citation:19-20]. ويدعو إلى هيئة للإعجاز العلمي تتابع المستجدات العلمية وتدعم الرؤية الدينية، وتنقي ما تراكم من آراء قديمة [citation:21].هذا الموقف لا يمثل ركوداً، بل محاولة لتجديد الفهم الديني بعيداً عن التطرف أو الإلحاد، وهو جزء من مشروع النهضة الفكرية الذي يطرحه الكاتب.

3.ركود الأخلاق (ظواهر اجتماعية في الميزان):

المقالات المتعلقة بـ"مفاهيم مقلوبة وقضايا وإشكاليات في الميزان" و"كشف ستر النفوس وخيانة المجالس" ترسم بورتريهاً قاتماً للأخلاق العامة. ينتقد الكاتب "كشف ستر النفوس" عبر وسائل التواصل الاجتماعي، معتبراً أن الإذاعة العلنية للأسرار الخاصة هي "خيانة المجالس" [citation:44-47]. ولا يكتفي بوصف الظاهرة، بل يحلل دوافعها النفسية والاجتماعية، متسائلاً: هل "فضح" رسائل المتعجبين من رقصات الفتيات على تيك توك، هو الحل، أم أن المشكلة أكبر وتتعلق باستعراض الجسد نفسه؟ [citation:48].

كما يشن الكاتب هجوماً على القيم الرأسمالية التي استشرت في المجتمع، خاصةً "شعارات" مثل "العميل على حق" التي خلفت "عنجهية فارغة واستكباراً" لدى البعض [citation:51]، و"عدم تجاوز رؤسائك في العمل" التي تخلق مناخاً من الخوف والتملق [citation:52]، و"مصلحة العمل" التي تُستخدم لتبرير الظلم [citation:53]،

و"بيزنس إيز بيزنس" التي تحول كل شيء إلى سلعة وتغيب الضمير .[citation:54]يصل الكاتب إلى أن الرأسمالية "خلطت الصواب بالخطأ والعدل بالباطل، وغيبت أركانهما.[citation:55] "

في نقد مثير للجدل، يناقش الكاتب قضايا مثل "تعدد الزوجات" و"الحجاب" كحلول اجتماعية، داعياً إلى النظر إليها من منظور اجتماعي أخلاقي بعيداً عن التهميش. يرى في تعدد الزوجات حلاً لمشكلة العنوسة والأرامل والمطلقات، ووسيلة لتكوين أسر منتجة، بشرط الموافقة والقدرة .[citation:77-80] ويرفض "الهجوم على الحجاب"، ويؤكد أنه "زينة المرأة المسلمة ومناط عزتها .[citation:80] "هذا الموقف، وإن كان استفزازياً للتيار الليبرالي، يعكس رغبة الكاتب في تقديم حلول أصيلة من داخل الثقافة الإسلامية، محاولاً تجاوز "الركود" الفكري الذي يرى فيه الآخر (الغرب) نموذجاً وحيداً.

ثالثاً: نحو "الرشاد": الإصلاح بين النقد الذاتي واستشراق المستقبل

"الرشاد" هنا ليس وعظاً أخلاقياً ساذجاً، بل هو مشروع فكري وإصلاحي يرتكز على أربع ركائز أساسية، مستمدة من نقد الكاتب للواقع:

1. **النقد الذاتي كقيمة :**هذا هو الإطار الأهم. يبدأ الإصلاح باعتراف الكاتب بخطئه وتغير قناعاته مع مرور الوقت، كما يظهر في حواره عن "حضرة السيد مثقف" حيث يعترف بتعجله في الحكم على أحاديث نبوية ليفاجأ بحقيقتها العلمية لاحقاً .[citation:19-20]هذا الموقف من التواضع المعرفي هو جوهر "الرشاد". يرفض الكاتب "فصاماً نكداً بين الظاهر للناس والباطن" ويطالب بـ"ثقافة الاعتذار .[citation:63] "هذه الرؤية تجعل الكتاب نموذجاً لـ"أمانة القلم" التي يخصص لها فصلاً بأكمله، حيث يقرأ التاريخ "ليس لتأكيد الأوهام بل للعظة والاعتبار.[citation:60-61] "
2. **المسؤولية المؤسسية :**لا يكتفي الكاتب بنقد الأفراد، بل يركز على المؤسسات كمدخل للإصلاح. دعوته لتطوير التعليم الصيدلي [citation:30]، ورقابة الدولة على العيادات [citation:24]، وتفعيل هيئات الرقابة [citation:21]، كلها تشير إلى وعي بأهمية البناء المؤسسي في مواجهة الفساد والفوضى. الهدف هو الانتقال من الاعتماد على "ضمير الفرد" إلى تطبيق "أنظمة" تضمن الجودة والعدالة.
3. **تجديد الخطاب (الديني والثقافي) :**الرشاد في المجال الثقافي يكون بتجاوز "الصراعات الهامشية" بين النقاد والكتاب، والتركيز على جوهر الرسالة الأدبية. الكاتب ينتقد الأدب الذي يتحول إلى "انعدام أدب" عندما ينحدر للسب، أو التشهير، أو الإباحية، أو الدعوة للإلحاد .[citation:35-42] وهو يدعو لأدب "رسالة

قيمية وأخلاقية" بعيداً عن "السخرية من الدين" أو "الترويج للشذوذ " [citation:35, 37]. هذا يندرج في مشروع ثقافي نهضوي يسعى لاستعادة "الأخلاق" كمرتكز أساسي للإبداع.

4. **حفظ التراث وإعادة إنتاجه:** في مقال "خُلد أثرك"، يوجه الكاتب دعوة صريحة للمثقفين والكتّاب لحفظ تراثهم بأنفسهم، محذراً من ضياعه على الأرصفة ومشيراً إلى أن "الحفاظ على التراث مسؤولية شخصية قبل أن تكون مؤسسية " [citation:72-76]. هذا الموقف، الذي يبدو عملياً، يحمل إشارة سياسية خفيفة: عدم الاعتماد على الدولة وحدها في الحفاظ على الهوية الثقافية، بل تحمل المثقفين مسؤوليتهم الفردية في تشكيل الذاكرة الجمعية، وهو ما يتوافق مع أفكار "ما بعد الحنين" التي ترى أن التراث يجب أن يكون "تراثاً حياً" يُعاد تفسيره .

الخاتمة

يقدم كتاب "على مقهى الأربعين" أكثر من مجرد مجموعة مقالات نقدية. إنه وثيقة تعكس "أزمة منتصف العمر" لحضارة أو لأمة، هي مصر في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين. فمن خلال استعارة هذا المفهوم النفسي الفردي، ينجح د. محمد فتحي عبد العال في تحويله إلى أداة لقراءة الجماعي. "الركود" الذي يشخصه الكاتب ليس مجرد ظواهر سطحية كالفساد الإداري أو تردي الخدمات، بل هو "ركود" في عمق الثقافة والأخلاق، حيث غابت "البوصلة" واستحكمت المصالح الفردية، وتفككت المؤسسات، وتشوهت القيم.

وفي مقابل هذا الركود، يرسم الكاتب معالم "الرشاد" من خلال نقد ذاتي صادق، وإيمان بقيمة المؤسسات، ودعوة لتجديد الخطاب الديني والثقافي، وتأكيد على المسؤولية الفردية والجمعية في حفظ الذاكرة وبناء المستقبل. الكتاب، إذن، هو بمثابة "صوت" في مقهى يضم أربعين مقالاً، وكأنه مقهى فكري، حيث يحتسي الكاتب وقارئه مرارة الواقع، لكنهما لا يغادرانه إلا وفي النفس أمل بالخروج من "الغرفة" إلى فضاء أوسع.

توصيات

في ضوء تحليل كتاب "على مقهى الأربعين"، يمكن طرح التوصيات التالية:

- **دراسة معمقة:** إجراء دراسات سوسيولوجية ونفسية لتقييم ظاهرة "أزمة منتصف العمر" الفكرية في المشهد الثقافي العربي، من خلال تحليل نماذج أخرى من الكتابات المقالية والأدبية.

- **إصلاح تعليمي :**العمل على تطوير مناهج التعليم، خاصة في مجالات العلوم الإنسانية، لتشمل مواداً عن "المواطنة الأخلاقية" و"النقد الذاتي" و"البناء المؤسسي"، كما يقترح الكاتب في حديثه عن "مادة بناء الإنسان.[citation:82] "
- **مراجعة أخلاقيات المهنة :**الدعوة إلى مراجعة جذرية لمدونات السلوك الأخلاقي في المهن الحيوية كالطب والصيدلة والإعلام، مع تفعيل آليات رقابية حقيقية.
- **تشجيع الكتابة المقالية النقدية :**تحفيز الباحثين والكتّاب الشباب على الانخراط في هذا النوع من الكتابة الذي يجمع بين البحث الأكاديمي والخطاب العام، ليكون جسراً بين المعرفة النظرية والهموم المجتمعية، وذلك استلهاماً من نموذج "على مقهى الأربعين."

قائمة المصادر

1. Jaques, E. (1965). Death and the midlife crisis. *The International Journal of Psycho-Analysis, 46*(4), 502-514.
2. Negm, I. (2026). Who stole our moral compass? *Egyptian Gazette*.
3. Setiya, K. (2017). Midlife: A Philosophical Guide. Princeton University Press.
4. Negm, I. (2025). What’s happening to the Egyptian soul? *Ahram Online*.
5. Sheehy, G. (1976). Passages: Predictable Crises of Adult Life. E.P. Dutton.
6. Loza, N. (2026). Opinion: New Republic, Post-Nostalgia. *Daily News Egypt*.
7. Dizikes, P. (2017). How philosophy can solve your midlife crisis. *MIT News*.
8. Khachaba, H. (2025). Les Jeunes Egyptiens Sous Le Joug Des Us Et Coutumes! *Le Progrès Egyptien*.
9. Mohsen, S. (2023). On friendship between the no longer and the not yet: an ethnographic account. American University in Cairo Press.